3

العدد الثالث 3
السنة السادسة عشرة 16

الكلية العربية

حام شبه

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها ٢٥٠ ملا

مطبعة بيت المقدس — القدس

العدد الثالث السنة السادسة عشرة



في ١ تموز سنة ١٩٣٦ — الموافق ١٢ ربيع الاخر الهجري سنة ١٣٥٥

فوائد اختبارات الذكاء(١)

تنقسم فوائد اختبارات الذكاء الى ثلاثة اقسام (١) التشخيص (٢) الانذار (٣) المعالجة . وينشد عالم البسيكولوجيا بواسطة ما يجري من اختبارات ان يكتشف الاسباب ، وان يتكهن عن النتائج ، وان يصف المعالجة الواقية الشافية . وهو كالطبيب يسعى لان يتحقق هذا الغرض بتطبيق المبادئ العلمية ، لابالحدس والتخمين المستعجل او الآتي وحياً . وهو كالطبيب يحاول ان يرضي نفسه او يقنعها بان اختباراته متينة وصادقة ومما يعتمد عليها .

النقص العقلي

لقد كان ما ترمي اليه اختبارات الذكاء في بادئ الامر تشخيص النقص العقلي . بل لا يزال معظمها يجري تتميما لهذه الغاية . اما الطريقة المعتادة لمعاملة

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف

ولد احيل الى الامتحان فهي ان تقدر ذكاءه تقديراً اولياً بواسطة الاختبارات المقننة لطوائف من الاولاد ، ثم تختبر الولد اختباراً فرديا او شفويا . ويضاف الى الاختبار الشفوي في بعض الحوادث اختبارات الحركة ، وفي غيرهـــا الاختبارات التي تتضمن بين ثناياها اهلية وجدارة خاصة .

وقد دلتنا الخبرة انه عند تشخيص النقص العقلي يجب ان تستعمل الحكمة ، وان تفسر الارقام بالحيطة والتحفظ . وقد تشدد احد كتاب الاميركان في قوله وهو اذا اردنا الوقوف على تشخيص النقص العقلي تشخيصاً صحيحاً فلا ندحة لنا عن الجمع بين نتائج اختبارات الذكاء و بين أمور اخرى كثيرة .

ان تحريات طائفة من العلماء وتنقيباتهم تدل ان نقائص اولئك الذين ندعوهم « ضعفاء العقول » هي نقائص في الدرجة لا في النوع . ذلك لان ضعفاء العقول يتبعون ذات الاساليب الفكرية التي يتبعها كاملو العقول . وفي تقرير اللجنة البريطانية التي تتولى امر ضعفاء العقول عن سنة ١٩٢٩ استدعي الانتباه الى زيادة عدد ضعفاء العقول في بريطانيا العظمى وعزيت اسباب هذه الزيادة الى :

(١) فحص الاولاد فحصاً ادق من ذي قبل بواسطة اختبارات الذكاء .

(٢) زيادة عمر ضعفاء العقول الناجمة عن تحسن الاحوال الصحية .

(٣) زيادة خفيفة في تولدات ناقصي العقول بالمقابلة بباقي السكان الاصحاء.

ولقد جاء المعدل المئوي لضعفاء العقول من الاولاد في المناطق الست التي فحصت من قبل اللجنة كما يلي : ٨٥و٠ في المئة (في المدن ٦٧و٠ في المئة وفي القرى ١٠٠٥ في المئة) وجاء المعدل في بريطانيا العظمى اجمالا ٧٣و٠ في المئة) ومما يجب ذكره ان هذه اللجنة اعتبرت كل ولد خارج ذكائه ٦٠ او ما دون ضعيفاً في عقله

الذكاء المتفوق

اذا جاز الحكم على الاهتمام بموضوع من مقدار الكتب التي وضعت لمعالجة مسائله ومعضلاته تبدى لنا ان البسيكولوجيين اقل اهتماماً بالولد المتفوق الذكاء منه باخيه ضعيف العقل · وهذا ناجم عن سببين اساسيين ، احدهما ان متفوق الذكاء لا يكون في الغالب مشكلة لدى اولي الاختصاص، وثانيهما ان المتفوق يعرف امره في الاختبارات المدرسية والامتحانات العمومية معرفة فعالة . على انه من الثابت ان متفوق الذكاء يبقى احياناً غير معروف امره الى ان يكشف حقيقته اختبار الذكاء. ولقد كان علينا ان ننتظر اختبار الذكاء للحصول على تعريف افضل للذكاء المتفوق ولاظهار ان الذكاء المتفوق ليس كما كنانتصوره من انه نادرالوجود

وغير خفي انه لم تقم ضرورة لتعريف الذكاء المتفوق وانه لا يوجد تقسيم مقبول لهذا الذكاء يضعه في درجات محدودة او مقررة، غير انه في الامكان اتخاذ مقاييس للتفوق العقلي تشبه المقاييس التي اتخذت للضعف العقلي . فان الولد الذي يكون خارج ذكائه فوق ١٢٥ او ١٣٠ يمكن وصفه بانه « متفوق » والذي فوق ١٥٠ « متفوق جداً » والذي فوق ١٧٥ « نابغة » . واذا عبرنا عن المتفوق بالاصطلاحات المدرسية قلنا ان « الذكاء المتفوق » هو مقياس الذكاء اللازم للتفوق في الامتحان للحصول على البعثة المجانية ، وان الذكاء « المتفوق جداً » هو المقياس اللازم للحصول على شرف الجامعة .

انتظام « الولد المتفوق »

ان الفكرة السائدة ، وهي ان الولد المتفوق له شنشنات خاصة تخرج به عن

المألوف و يعرضه نضجه العقلي قبل الاوان ، إما الى الحصول على مزاج عصبي ضعيف و إما على نقص عقلي او ادبي ، لا تزال (الفكرة) منتشرة كثيراً ، وان قلّت عما كانت عليه في ما مضى. على ان البحث والاختبار الحديثين دلا على ان الاولاد المتفوقين لا يقلون عن غيرهم من الاعتياديين في الابدان والعقول والاعصاب ، ان لم نقل يفوقونهم .

مستقبل الاولاد « المتفوقين »

لقد وجه انتباه شديد الى مستقبل الاولاد الذين احلتهم اختبارات الذكاء في رتبة « الاذكياء » . فان احدهم درس مئة ولد موهوب ووجد ان التفوق الذي لوحظ فيهم في اول ادوار التحقيق دام بعد خمس سنوات اختبروا فيها اختبارات مختلفة . وقابل احدهم مستقبل طائفة من اولاد موهوبين بطائفة اخرى من اولاد اعتياديين ، واظهر ان هؤلاء ، وان لم تتيسر لهم فرص التعليم المقصود به تنشئة القوى الطبيعية ظلوا متفوقين على الاعتياديين في اكثر النواحي. ويخرج من ذلك بهذه النتيجة وهي ان التعليم العالي لا يمكن ان يقابل بالذكاء الطبيعي المولود فيهم ويعتبر قوة فارقة . وقد دلت اختبارات عدة من العلماء على نتائج كثيرة نجتزئ منها باثنتين شائعتين (١) ظهر بعد فترة ست سنوات ان اكثرية الحوادث الساحقة كانت تقريباً على مستوى عقلي واحد مثلما كانوا عندما اختبروا اول مرة . (٢) ان معدل خارج الذكاء اظهر نقصاً طفيفاً وكان معظم حوادث النقص هذه في البنات ، وربما كان سببه النضج العقلي المبكر . على انه من الجهة الاخرى حافظت البنات على مراكزهن في العلم واثبتن انهن متفوقات على الصبيان في العلامة المدرسية .

التقسيم المدرسي

لقد اجريت في ما تأخر من السنين دروس عدة في اختبارات الذكاء بقصد تقسيم المدرسة الى طبقات، والتنبؤ عن النجاح العلمي فيها . وكان التناسب في اكثر الدراسات بين اختبارات الذكاء والعلامات المدرسية واطئاً يمتد من ٦٤و. على ان هذا من المنتظر لان النجاح العلمي في المدرسة يتوقف على عدة اشياء متباينة ، سواء في ذلك العقلي منها والمزاجي . وقد جاء التناسب أعلى عندما جمعوا بين اختبارات الذكاء وبين اختبارات تحمل بين جوانبها قابلية او جدارة خاصة.

اجراء اختبار القابلية

ان طريقة العمل المتبعة على الجملة في تحريات كهذه لهي كما وصفها احدهم فيما يلي ، تقام سلسلة اختبارات يمكن معها التكهن عن مستقبل قوى الولد في الرسم الراقي . ثم تقام مجموعة كبيرة من الاختبارات تحتوي على اختبار في الذكاء وعلى اختبارات ترمي الى معرفة القوى الاولية في الولد . وقد ثبت ان بعض هذه الاختبارات لا فائدة منها بل هي تربو على ما يلزم. وهنالك مبدءان استرشد بهما ذلك العالم في انتقاء الاختبارات وازالة البعض منها ، احدهما ان الاختبارات يجب ان تكون على أعلى ما يمكن من التناسب مع المقياس ، وثانيهما ان الاختبارات يجب ان تكون على أوطى ما يمكن من التناسب الواحد مع الآخر . وقد ارسلت النتائج للتحليل الاحصائي حباً بالوقوف على الاهمية التي يجب ان توضع لكل اختبار، وذلك لاستخراج الحد الأعلى للتناسب مع المقياس.

وغني عن البيان ان هذه الطريقة يمكن التوسع في تطبيقها ، لانه يندر ان

توجد قوى يمكن اعتبارها صفات « مفردة » اذ ان معظمها مركب من عدة صفات مختلفة، فالمقدرة على الرياضيات مثلا تتألف على الراجح من ذكاء عام ، وتصوير منظور ، وادراك لتناسق الاعداد والمسافات ، واحتفاظ بذلك التناسق كنموذج عقلي . وكل نقطة من هذه النقاط يمكن تقسيمها الى عوامل فرعية أبسط. وقل مثل ذلك في المقدرة على الادبيات والعلوم واي موضوع مدرسي آخر . فاذا امكن تحليل هذه القوى وقياسها على الطريقة التي مر ذكرها امكن التكهن عن مستقبل مقدرة الولد ، بحظ غير قليل من النجاح ، على الرياضيات او الادبيات او اي نوع من العلوم المدرسية ، وذلك بتقديمه الى امتحان يجمع بين اختبارات الذكاء وبين اختبارات اخرى ترمي الى معرفة القوى . نعم اننا لا نزال بعيدين عن الوصول الى اهدافنا ، غير انه لنا وطيد الأمل ان نكون عما قريب قادرين على وضع اختبارات تمكننا على الاقل من ارشاد الطلاب الى اختيار المواضيع للدراسات العالية . واي مدير مدرسة لا يترحب باي اختبار يجعل في مقدوره ان يعرف ما هو كامن في التلميذ من قابلية طبيعية لموضوع دون اخر .

الاولاد المتأخرون

ولا منتدح لنا عن الاشارة ، ولو بمنتهى الايجاز ، الى فائدة اختبار الذكاء في معالجة الاولاد المتأخرين . لقد انشئت مستوصفات لارشاد الاولاد في كثير من امهات المدن ، وهذا نعتده فاتحة حركة عظمى . ولا تعالج هذه المستوصفات ضعفاء العقول من الاولاد فحسب بل الذين هم فوق خط الحدود، وقد بدت منهم صعوبات بسيكولوجية اما من جهة تكيفهم بالمجموع أو من جهة قيامهم بالتعليمات المدرسية .

الاولاد المقصرون

انه لمن المسلم به عند جمهرة الاخصائيين ان الذكاء لا ندحة عنه في معالجة الاولاد المقصرين . فقد ذكر احدهم ان ٨٠ ٪ من المقصرين هم دون المعدل في الذكاء . وقال ايضاً ان نقص ذكاء الولد قد يكون الدافع الاكبر لعيوبه ، كما ان ملكة الذكاء هي الرجاء الاوحد لاصلاحه . ولهذا كان من واجب الذين اخذوا النفس بارشاد الاولاد المتأخرين ان تكون لهم المامة بذكائهم .وقدأثبت بعضهم ان الصعوبة في تكيف الاولاد المتأخرين اجتماعياً هي على نسبة درجة نقصهم العقلي . فان الولد المقصر والناقص العقل لا يكون مقصراً لانه اوطى من سواه، بل لانه يعرف من نفسه انه اوطى . فاذا عرف البسيكولوجي تطور الولد العقلي واسترشد بذلك كان في مقدوره ان يزيل مايصحب بعض الاولاد من مخاوف ويبعث في نفوس غيرهم الثقة ويشير الى تبديل السيء بالحسن في الآخرين. وصفوة القول فانه يقدر ان يعين الولد على مجابهة الحقيقة سواء أكانت معرفتها محببة اليه ام غير محببة

الارشاد المهني

قامت طائفة من الاخصائيين تنادي بفائدة اختبارات الذكاء في المساعدة على اختيار المهنة . ولعل افضل قول في الاساليب الحديثة للارشاد المهني ما كتبه احدهم في الطريقة المتبعة في « المعهد القومي للبسيكولوجيا الصناعية » بلندن. ومما يجعل هذا القول اخاذاً وشائقاً انه لا يعلق الاهمية كلها على اختبارات الذكاء الشفوية ولكنه يقيم وزناً للاختبارات العملية التي هي في قيمتها المؤذنة بالنقص

العقلي لا تقل عن الاختبارات الشفوية التي تجرى باكثر سهولة . وفي البلدان الاخرى يجري البحث في هذه الامور على مدى اوسع . على ان اثنين من اميركا اشتهرا بابحاثهما، احدهما باتيسون وابحاثه ادق الابحاث في القوى الآلية . وثانيهما ثورندايك وابحاثه اوسع الابحاث في ما يحدث للاولاد بعد تعلمهم ، وقد ارشدوا ارشاداً مهنياً . وهذا بنى ابحاثه على امتحان ٢٢٢٥ ولداً. وقد تألف امتحانه من اختبارات عقلية ومهنية ، ومن عمل ١٩٠٧ من هؤلاء الطلاب بعد انقضاء عشر سنوات . اما النتائج فقد حبطت واخفقت لانها اظهرت ان قيمة الاختبارات المدرسية التي تكهنت عن مستقبل التلامذة ضئيلة ، اللهم الا في المقدرة على القيام بالاعمال الكتابية . ولقد كانت العناية بهذا الموضوع فى المانيا شديدة . وربما شابهت ذلك العناية بالموضوع عينه في روسيا .

فرغانة بنت أوس بن حجر

على قبر الاحنف بن قيس

لقد عشت حميداً ، ومت فقيداً ، ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم ، رفيع العماد واري الزناد ، منيع الحريم سليم الأديم ، وان كنت في المحافل لشريفا وعلى الأرامل لعطوفا ،ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا ، وان كنت لمسوّدا والى الخلفاء لموفّدا،وان كانوا لقولك لمستمعين ولرأيك لمتبعين.

تدريس الادب العربي

كتب الاستاذ عبد القادر المازني مقالين في جريدة البلاغ المصرية بتاريخ ٢٠ و ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٤ قرر فيهما انه « من النادر الشاذ ان ترى بين طلبة هذا الجيل من يقبلون على تحصيل الادب العربي في مظانه والاحاطة به إحاطة دقيقةالا ان يكون ذلك مطلوبامنهم » وذهب الى ان هذا النفور من الادب يرجع الى اسلوب تدريسه من القديم الى الحديث لا الى عيب فيه ، « فالتلميذ في مدارسنا ينقل دفعة واحدة وبلا تدرج من الاسلوب العصري الذي تكتب به الصحف والكتب في زمانه الى اسلوب امرئ القيس والنابغة الذبياني ومن اليهما ثم اسلوب العصر الاسلامي ، وبذلك يعبر الفاً وخمسمائة سنة مرة واحدة وفي دقيقة لا ثانية لها ، فيلقى نفسه حيال اساليب لا شك انها غير مألوفة عنده » . يضاف الى ذلك ان مادة اللغة عنده نزرة فهو يحتاج الى شرح كثير مما يجده من الالفاظ ، وهذه مشقة يجب ان يحسب حسابها . ودعا في ختام مبحثه الى ضرورة البدء بدراسة الادب من العصر الحديث الى العصور القديمة زاعماً ان « هذا الاسلوب العكسي يسهل الطريق ويذلل اكثر مصاعبه ويحمل على الاقبال و يغري بالتحصيل لأن التلميذ وهو ينتقل من المألوف الى غير المألوف متدرجاً في ذلك خطوة خطوة خليق ان يأنس الى الدرس ... والانتقال من المألوف الى غير المألوف هو المعقول في التعليم كائناً ما كان الموضوع الذي تريد ان ينقله التلاميذ والمادة التي تلقنهم إياها .. » ولا فرق عند وزارة المعارف بين الابتداء من العصر الجاهلي او الابتداء من العصر الحاضر ما دام التلميذ سيحصل ذلك كله على مدار السنوات

المقررة لتعليمه ٠

...

لا شك ان في دعوة الاستاذ المازني بمقدماتها واسلوب عرضها على جانب كبير من الوجاهة والاصابة ٠ وما اظن استاذاً درس الأدب العربي كما تعرضه كتب الأدب او على الأصح كتب تاريخ الأدب لم يلحظ الصعوبة القصوى التي يعانيها الطلاب في بدء دراستهم في فهم الأدب الجاهلي وادب العصر الأموي وطرفاً من الأدب العباسي لهذه الأسباب التي اوردها الاستاذ ولاسباب اخرى وثيقة الاتصال بها ٠ واذكر ان استاذي الدكتور طه حسين اخبرني في هذا العام ان لجنة تألفت في وزارة المعارف لدرس هذا الموضوع نفسه ، ولما ذكرت له مقالتي الاستاذ المازني قال انه لم يطلع عليهما وانما شعر من نفسه بضرورة بسط هذا الموضوع للدرس والبحث ٠ واذن ففي نفوس الادباء واساتذة الادب العربي نظرية جديدة خليقة بالبحث الدقيق والعناية التامة ٠

على ان الاستاذ المازني على ما يظهر خلط بين الادب وتاريخ الادب ، فالكتب التي بين ايدي الطلاب هي تاريخ للادب وليست كتب أدب ، وشتان بين الموضوعين ٠ وسأبين في هذا المقال أهمية درس الأدب الذي لا وجود له في مدارسنا والذي لا يحتاج في درسه الى الاعتماد على التاريخ سواء من القديم الى الحديث أم من الحديث الى القديم ، وقيمة تاريخ الادب ووجوب تناوله من القديم الى الحديث حسب الاسلوب المتبع اليوم في مدارسنا وفي المدارس الاوربية كافة على ان يعتبر ثانوياً بالنسبة الى الادب نفسه٠

...

ينبغي ان نميز بين الادب وتاريخ الأدب اذ لكل منهما غرض خاص واسلوب خاص . فدرس الأدب يقصد منه إظهار العناصر الأولية التي يتكون منها الأدب وهي الخيال والعاطفة والمعاني والاسلوب ثم وضع مقياس خاص لتذوق كل عنصر من هذه العناصر والمقدار الذي تكون عليه في القطع الأدبية سواء اكانت شعرية أم نثرية . والادب في هذا يؤدي أحد شطري عمله أي يقيس وينقد ليوصل الى الشطر الآخر وهو تكوين الذوق الادبي وملكة الانشاء الادبي على اساس علمي او شبيه بالعلمي على قدر ما يتصل الادب بالعلم . ولا كبير خير في الادب اذا اقتصر على الشطر الأول فأسس ملكة النقد وأهمل ملكة الانشاء . ذلك أن جمهرة الطلاب يخرجون الى الحياة ليصفوا ما يرون وليعبروا عن عواطفهم ومشاعرهم متأثرين بما يشاهدون لا لينقدوا وليقفوا عند حد النقد . وليس معنى هذا أن النقد أقل فائدة واوضع مرتبة وانما معناه ان يخرج اكثر الكتاب في الأمة منشئين يجيدون الكتابة على ضروبها، إن دعوا الى عمل وطني الهبوا الصدور حماسة واقداماً، وان دعوا الى اصلاح اجتماعي ملؤوا النفوس غيرة واشفاقا، وان وصفوا اتقنوا التصوير، وان بحثوا موضوعاً أحاطوا باطرافه والفوا شتاته واحسنوا عرضه، في ذوق الاديب المتفنن. ويتطلب هذا الدرس الادبي، بالضرورة ، وضع النصوص الادبية المختارة بين ايدي الطلاب يلتمسون فيها وجوه القوة والجمال ومبلغ حظ الكاتب او الشاعر من الاجادة والتوفيق، كما أنه يتطلب المران على انشاء القطع الادبية في مختلف الموضوعات ليرى المعلم الى اي حد تذوق الطلاب الأدب وتأثروا به والى اي حد يحسنون استغلال الادب القديم لتكوين ادب جديد حي وثيق الاتصال بحياتهم واذواق قرائهم لغة وتفكيراً . وهذا هو هدفنا الذي نرمي اليه من دروس الادب ، فالحياة الحاضرة تتطلب ادباً له طابعه الخاص وألوانه واساليبه الخاصة ،

واذا لم تؤد دروس الادب الى هذه النتيجة فهي فاشلة أشد الفشل عقيمة أشد العقم . ولسنا في حاجة لبلوغ هذه النتيجة الى دراسة الادب دراسة تاريخية لا من القديم الى الحديث ، كما هو المتبع الآن ، ولا من الحديث الى القديم كما يرى الاستاذ المازني . ذلك لانا ندرس الادب لا تاريخ الادب، ونعتمد على القطع الادبية القيمة وحدها نتخيرها لخصائصها من قوة وجمال وبلوغ غرض دون تقيد بالزمن التاريخي ، فاذا رأينا في الشعر الجاهلي — مثلا — سذاجة وتعقيداً وعواطف حزينة او مريضة و بعداً عن اذواقنا لم ندرسه ،واذا رأينا في شعر ابي تمام او ابي الطيب أو البها زهير او شوقي جمالا وقوة وسلاسة وقرباً من اذواقنا درسناه لخصائصه هذه لا لقيمته التاريخية ، وقس على ذلك ادب سائر الشعراء والكتاب والخطباء . وان كنا نعنى بتاريخ الادباء فانما عنايتنا به قاصرة على التماس جميع الوجوه المتيسرة لتفهم ادبهم وتطور واتجاهاته وتأثره بالعوامل الداخلية والخارجية التي يتعرض لها الادباء في حياتهم . فتاريخهم إذن وسيلة من جملة وسائل شتى لا غرض مقصود لذاته.

هذا هو غرضنا واسلوبنا في تدريس الادب ، وهما للاسف معدومان في مدارسنا لفرط تعلقنا بتاريخ الادب قبل ان نتذوق الادب نفسه من جهة ، ولاقتصارنا على معرفة القديم دون ان نتوجه الى الحديث من جهة اخرى . وهذا هو سر ما ينكره الاستاذ المازني وما ننكره من انصراف الطلاب عن الادب يطلبونه بانفسهم و يقرأونه في بيوتهم ويتغنون به في أحاديثهم وساعات فراغهم، فهم في الواقع لم يتذوقوا الادب ولم يعرفوه وانما عرفوا شيئاً آخر هو تاريخ الادب او على الاصح تاريخ الادباء على نحو ما نجد في كتب تاريخ الأدب .

. . .

ولننظر بعد في تاريخ الادب أمن الخير ان يدرس من القديم الى الحديث ام من الحديث الى القديم . إذا كنا نعني بتاريخ الادب إما كموضوع مستقل عن الادب له ساعة خاصة في برامج التعليم او كموضوع ختامي يدرس في الصفوف العليا بعد ان يتقدم الطلاب في تذوق الادب وفهم خصائصه فلا حاجة الى عكس الاسلوب الطبيعي من القديم الى الحديث . ذلك ان درسنا هذا تاريخي يعتمد في الدرجة الاولى على بحث العوامل المؤثرة في تكوين الادب مما يتطلب العودة ضرورة الى منشأ الادب ونموه والظروف المحيطة به . فلا يمكننا ان نؤرخ ادب العصر الاموي مثلا دون ان نرجع الى الادب في عصر الخلفاء وعصر الرسول لنتبين النواة الاولى للادب الاموي كيف نشأت ثم ما لابس هذه النواة من عوامل ومؤثرات الى ان بلغت العصر الاموي ، كما انه لا يمكننا ان ندرس تاريخ الادب الحديث في مصر دون الرجوع الى اوائل النهضة في عهد الاسرة العلوية لنستجلي أصول الادب وظروف نموه الى ان اصبح في مصر ادب حديث معاصر . وهذا الاسلوب ينتهجه الافرنج في مدارسهم وجامعاتهم وما رأينا انحرافاً عنه لكون الادب القديم بعيداً عن اذواق الطلاب وفهمهم ، وكل ادب في العالم له تاريخ قديم وحديث ، تعين دراسة الاول على دراسة الثاني ويتوسل الى فهم الثاني عن طريق الاول .

يضاف الى هذا ان غرضنا من دراسة تاريخ الادب يختلف عن غرضنا من دراسة الادب نفسه . فالثاني يرمي الى تكوين الذوق الادبي وخلق ادب حديث حي ، والاول يرمي الى استعراض نشأة الادب تحت المؤثرات المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية . والثاني يقتضي دراسة ادبية عميقة في حين ان

الاول يتطلب إستعراض عصور الادب في ايجاز تارة وفي تفصيل تارة أخرى حسب العصور الادبية وقوتها وضعفها لننتقل من هذا كله الى نتيجة محدودة هي العمل على خلق الاسباب لتوليد ادب قوي حديث . وهذا عين ما يرمي اليه مؤرخو العصور السياسية . وبهذا تزول الصعوبات التي منشأها بعد الزمن — والتي أشار اليها الاستاذ المازني في مقاليه — عن طريق العرض السريع للعصور القديمة اولا ، وعن طريق ارجاء درس تاريخ الادب بعد تناول الادب نفسه ثانياً . ومعنى ذلك ان هذا العرض السريع في اول العصور ييسر لنا فسحة لدراسة تاريخ الادب الحديث في أعلامه وآثاره ، تلك الدراسة الممتعة الحية التي يتشوقها طلابنا ويميلون اليها في شغف وتلهف لا نظير لهما ، ويخرجون منها بفوائد جمة ملموسة الأثر في حياتهم وفيما يكتبون ويتحدثون . وقد اختبرت بنفسي هذا الأثر ، فكنت حين اعطي الطلاب كتاباً لاحد الادباء المحدثين ليقرأوه ويتفهموه أسمعهم يتحاورون في حماسة في اسلوب المؤلف وافكاره وحظه من التوفيق وحياته ومؤلفاته ، بل كنت ارى أثر ذلك الكتاب واضحاً فيما يكتبون ، فابتهج اشد الابتهاج وأتأمل في لذة النشاط حين تبتعثه الحياة ، حياة الجيل الحاضر . ولكن طلابنا للاسف محرومون من هذه الدراسة لان كتب تاريخ الادب تفصل العصور الاولى وتوجز العصر الحديث ايجازاً عجيباً فتكون النتيجة مللا وتبرماً في اول الدراسة وابتئاساً وخيبة في آخرها . هذا ان تيسر للطلاب ان يختموا كتابهم في عامهم وقلما يفعلون ! اما الدراسة التفصيلية الواسعة لعصر من عصور التاريخ الادبي فمجالها الجامعات وليس المدارس الثانوية التي هى موضع بحثنا الان وموضع بحث الاستاذ المازني .

وخلاصة القول يجب ان يفصل بين درس الادب ودرس تاريخ الادب، ويجب ان يسبق الموضوع الاول الموضوع الثاني في الدراسة ، ويجب ان يظل اسلوب عرض تاريخ الأدب على ما هو عليه الآن متدرجاً من القديم الى الحديث ، ويجب ان نعنى بالادب القديم لا لنفسه فحسب ولكن لتوليد ادب حديث يمثل روح العصر لغة وتفكيراً . وانه لمن المؤسف حقاً ان يكون الاتجاه منصرفاً الى العناية بتاريخ الادب دون الادب وان تكون الكتب التي بين ايدينا وضعت للموضوع الاول مما انتج انحرافاً قوياً عن هذه الدراسة الادبية الممتعة وعكس الغرض الذي ترمي اليه من تكوين ذوق ادبي ناقد ومنشئ . وهذا يعلل ضعف الادب الحديث -- من بعض نواحيه — فاعلامه البارزون في البلاد العربية كونوا ذوقهم بانفسهم وتخرج كل منهم على كتبه التي وثق بفائدتها واتخذها استاذاً ومرشداً دون ان يكون للمدرسة الحديثة أدنى أثر في تكوين ذلك الذوق وتثقيفه وتوجيهه الى الانتاج القوي الخصب الملائم لروح العصر .

ولكن في الغـــد الرجاء !

اسحق موسى الحسيني

تدريس قواعد اللغة العربية

وقع في مقال « تدريس قواعد اللغة العربية » المنشور في العدد السابق اخطاء مطبعية صوابها كما يلي :

ص.	س.	خطأ	صواب
١١٥	١٢	كالاعاني	كالاغاني
١١٥	١٥	العرض	الغرض
١ ٨	٦	وضوع	وضوح
١١٨	١٥	يلمس الجلة	يلمس اجزاء الجلة
١٢٠	١	فهذ	فهذه

ذكاء الحيوان(١)

إن خير ما ابدأ به مقالي هو ان اقص على القارئ حكاية الحصان التي شغلت عقول كبار علماء البسيكولوجيا في بدء هذا القرن . لقد امتلأت صفحات الجرائد الالمانية منذ ٣٠ سنة بالتعليق على حكاية هذا الحصان الذي سماه صاحبه الكونت اوستين، ضابط في الجيش الالماني « جاك النشيط » . أخذ هذا الرجل بتدريب حصانه وتعليمه مدة سنتين. ولما تمت المدة كان الحصان قادراً ان يقرأ ويفهم ما يقال له ويجيب بلغة مفهومة اجوبة صحيحة على ما يلقى عليه من الاسئلة . قد يعجب القارئ عند هذا ويتساءل باية لغة يجيب هذا الحصان ؟ لغة هذا الحصان هي عبارة عن اشارات، فاذا اراد ان يقول « لا » رفع رأسه علامة الرفض واذا اراد ان يقول « نعم » خفض رأسه علامة الرضى والقبول؛ واما بقية الكلمات فقد علمه صاحبه طريقة للتعبير عنها هكذا . كتب له على لوحة حروف الابجدية وتحت كل حرف وضع عدداً يرمز لهذا الحرف فمثلا لو اراد الحصان ان يقول كلمة « ضرب » وتتألف هذه الكلمة من « ض » ويرمز اليها بالعدد « ١٦ » وحرف « ر » ويرمز اليه بالعدد « ١٢ » وحرف « ب » ويرمز اليه بالعدد « ٩ » . يقف الحصان على لوحة كبيرة من الخشب ويضرب برجله اليمنى ضربة واحدة وهي عبارة عن « ١٠ » ثم يضرب برجله اليسرى ٦ ضربات فيكون كانه ضرب١٦ ضربة وهكذا حتى ينتهي الى كلمة ضرب . ولم يقف تعليم الحصان

---

(١) مترجمة عن مجلة The Journal of the Royal Society of Arts.

عند هذا الحد بل زاد عليه وهو انه اصبح قادراً على حل مسائل حسابية بسيطة وهكذا اتقن القراءة والكتابة والحساب. وعندما اعلن الكونت اوستن نتيجة تدريبه دهش له العلماء ايما دهشة وقام بعضهم يدحض قوله وآخرون يعززونه باختبارات علمية اخرى واخيراً قامت لجنة من علماء البسيكولوجيا وذهبت الى المانيا لتختبر مقدرة هذا الحصان العقلية فقررت انها تعادل القوى العقلية لتلميذ في الثالثة عشرة من عمره متوسط الذكاء، كما أبانوا ان في مستطاعه أن يقرأ الوقت ويجيب على أسئلة تتعلق به وأن يميز بين الانغام التي تتألف لتكون نغما موسيقياً لذيذاً وبين الانغام المتنافرة . وعندما نشرت هذه اللجنة نتيجة ابحاثها قامت ضجة في المانيا حول هذا الموضوع مما دعا العالم فنجست Pfungest لان يبرهن على بطلان هذا التقرير . ذهب هذا العالم الى اوستن واجرى اختبارات على هذا الحصان اثبت بها ان ما ادعته اللجنة وما قررته هو فاسد لا حقيقة فيه . وأثبت « فنجست » ايضاً ان الحصان لا ذكاء له بالمرة . وحصل على هذه النتيجة بان القى عليه اسئلة رياضية بسيطة مثل ١ + ١ بان كتبها على لوحة دون ان يعلم الحاضرون ما هي ولما طلب من الحصان ان يجيب عليها بدأ يضرب برجله اليسرى الا انه لم يقف بل ارتبك وفشل في الاجابة ولما طلب من Pfungest أن يفسر هذا قال : كان الحصان يجيب على الاسئلة التي القتها عليه اللجنة بضرب الارض برجله وكان يضرب حتى يرى من الحاضرين علامة يستدل بها انه وصل الى الجواب . فمثلا عندما يريد ان يعبر عن حرف « ر » كان يضرب برجله حتى يصل الى ١٢ ضربة وعندها يرى ان الرجل الفاحص قد قام بعلامة يكتشفها هو تدل على انه وصل الى المطلوب فيمتنع عن الضرب برجله ولكن في اختباراتي لم

يكن احد الحاضرين يدري ما الاسئلة حتى تبدو منه علامة يكتشف بها الحصان انه وصل الى الغرض المطلوب فضل عن الصواب واجاب خطأ. وهكذا وضحت قصة الحصان « جاك » وبقي على العلماء ان يفسروا ما ادعاه مستر كرال Krall الذي كان يعيش في البر فيلد ويدرب خيله كما درب اوستن حصانه . ادعى ان خيله المدربة يمكنها ان تجيب على اسئلة رياضية كاستخراج الجذر التربيعي للاعداد حتى ولو اعطيت لها على طريقة العالم Pfungest . وهذا الادعاء اوقع العلماء مرة ثانية في حيرة لانهم عجزوا ان يأولوه . ولكن الحقيقة ان هذا الادعاء قد لا يكون صحيحاً كل الصحة . وقد فسره العالم Fausinus الدنماركي على اساس السحر وهو انه قال : ان هنالك علاقة داخلية بين مدرب الحصان او فاحصه صعباً اكتشافها ولكن يمكننا ان نتثبت من وجودها حين نعرف ان الحصان يمكن ان يجيب دون ان يكون الفاحص نفسه عارفاً جواب هذا السؤال.

وصفوة القول ان من الصعوبة بمكان عظيم ان نحكم حكما فاصلا على ذكاء الحيوان وخير لنا حين تعرض على مسامعنا امثال هذه القصص يرويها مدربو الحيوانات والصيادون وهواة الخيل ان نشك بها اولا فنبحث عن مصدرها ثم نجرب ان نعللها حتى نوقف بها ونتثبت منها.وكثير من العلماء يقع في خطأ حين تعرض عليهم اخبار الحيوان المدرب فيأخذونها على علاتها ولكن سرعان ما يدركون خطأهم. ولأضرب لك مثلا عما حصل لأحد علماء البسيكولوجيا وتلاميذه. دخلوا المختبر ذات صباح فوجدوا فأرة دخلت علبة بها حبات قمح لتأكلها ولكنها فشلت حين حاولت الخروج فابقوها في العلبة ووضعوا غطاء شبكياً على فتحتها ؛ ولما كان اليوم الثاني دخلوا المختبر فوجدوا انها قد حاولت الخروج وان

مؤخرها قد اخرجته من بين خروق الشبكة و بقي رأسها داخل العلبة. ففسر الاستاذ ذلك بان الفأرة لما فشلت في ا كتشاف وسيلة تخرجها من مأزقها الحرج جر بت ان تخرج اولا مؤخرها ثم رأسها ووافق الطلبة على هذا التفسير . هذا التقرير له خطورته لانه يبرهن على ان للحيوان حتى الفأرة ذكاء . وفي اليوم الثالث دخلوا المختبر فلم يقفوا للفأرة على اثر.واما في اليوم الرابع فوجدوا ان الفأرة قد رجعت لتأكل كل حبات القمح وهكذا عرفوا ان تفسيرهم الاول خطأ وان الفأرة كانت في اليوم الثاني لا تحاول الخروج من العلبة بل كانت تحاول الدخول فادخلت رأسها اولا ثم علق مؤخرها بخروق الشبكة.

هنالك ثلاث نقاط اتفق العلماء على صحتها توضح الفروق الاساسية بين ذكاء الحيوان والانسان :

١ — انذكاء الانسان هو فوق ذكان الحيوان واعظم منه.

٢ — ان للانسان وللحيوان ذكاء الا انهما يختلفان في الدرجة.

٣ — ان ذكاء الحيوان اقوىمن ذكاء الانسان في بعض النواحي.

فلو درست هذه النقاط درساً وافياً لظهر لنا اننا لا يمكننا الاخذ بهاوالاعتماد عليها لان الاختلاف بين ذكاء النوعين اكثر تعقداً مما ذكر سابقاً . ان اول ما يتبادر الى ذهننا ان نتساءل « ماذا نعني بذكاء الحيوان او ما هو الذكاء عموماً؟» عندما تعطي طلاب صف من الصغار سؤالا رياضياً فاسرعهم حلا له اذكاهم . واما اختبار ذكاء الحيوان فهنالك اختبارات عديدة له تظهر جميعها ان الحيوان يكيّف نفسه لمحيطه الجديد وخير تعريف للذكاء التكيف بالاحوال الجديدة.

فكلاب البوليس التي تحتذي اثر المجرم فتساعد دائرة سكوتلانديارد على القاء

القبض عليه، والذئاب التي تذهب جماعات لقنص الغزال فتصطاده بمهارة فائقة والطيور المهاجرة التي تستدل على طريقها فترحل من اوروبا الى جنوبي افريقيا مسافة الاف الاميال، والنمل والنحل المشهور بهندسته البنائية لبيته وبمعيشته وبنظامه الاجتماعي،والعنكبوت الذي ينسج بيته ويحكم شباكه بمهارة فائقة لتكون مصايد للذباب فيظن الدارس لحياته ان العنكبوت قد اتقن دراسة هذه الحشرات، كل ما ترى من هذه الامثال يرينا ان جميع هذه الحيوانات لها ذكاء يظهر بشتى الطرق حسب نوع الحيوان . وبعد دراسة عميقة قرر العلماء ان هنالك ثلاثة انواع مختلفة من السلوك الذكي للحيوان . الاول هو السلوك المدفوع بدافع غريزي. ومع ان الغريزة هي احط انواع الذكاء فغريزة الحيوان قد بهرت عقول الذين يدرسون سلوكها مدة الاف السنين . والسلوك الغريزي عام شامل بين الحيوانات. والنوع الثاني من السلوك الذكي نجده في الحيوانات التي يمكنها ان تتعلم بالتدريب والممارسة . وهذا النوع من الحيوان يتكيف بالحالة التي يوضع بها باستعادته التدريب الذي مارسه قبلا ، فيتجنب حالات عادت عليه بالاخطار ويتقرب من حالات كانت قد عادت عليه بالفائدة . فكلما زاد ذكاء الحيوان كان اكثر استفادة من الاختبارات الماضية وزاد تكيفه بالمستقبل. اما نحن اي الجنس البشري فيؤثر علينا ما نتعلمه في المدرسة او ما يمر علينا من اختبارات جديدة في كل يوم من ايام الحياة . والنوع الثالث وهو ارقاها هو ذلك النوع الذي به يستعمل الحيوان نوعا من التفكير يبنى على معرفة السبب وتقدير النتيجة . ومع ان عدداً كبيراً من الحشرات والطيور وذوات الثدي يتعلم بالممارسة فهنالك عدد قليل جداً من الحيوانات التي ارتقت في سلم التطور حتى اصبحت تعتمد على

تحكيم العقل في تعلمها كالغوريلا والشمبانزي والانسان الوحشي .

فاذا اردنا ان نعرف اي نوع من الذكاء يملك الحيوان فما علينا الا ان ندرس الحالات الخاصة التي يظهر بها الحيوان ذكاءه درساً وافياً. ان الاكثرية الساحقة منا تظن ان عالم الحيوان و بيئته هو اجمالا كعالمنا ولكنا لا يمكنا ان ندحض هذا القول. والحقيقة هي ان لكل فصيلة من الحيوان عالماً منفصلا تعيش به ، فعالم السمكة هو اعماق البحار البالغة الاف الاقدام وعالم النحلة ما بين الزهور والسماء الزرقاء الصافية الاديم وهذان العالمان لا يتشابهان . ولا يمكننا دراسة سلوك الحيوان دون ان نقف على عالمه و بيئته.

نظرة الى العالم الذي نعيش فيه ترينا الاف الاشياء المختلفة باختلاف المكان والزمان والظروف المحيطة بها. ويختلف الحيوان عنا في نظره الى هذه الاشياء فعندما توضع الذبابة في بيت العنكبوت سرعان ما يهاجمها الاخير و يلتهمها فريسة ولكن اذا كانت الذبابة خارج بيته فهو لا يهاجمها بل يتجنبها ؛ مما يدلنا ان العنكبوت يرى الاشياء في بيته تختلف عنها في خارجه . واما نحن فتظهر لنا الذبابة ذبابة أنى كانت .

وساضرب لك امثالا أخرى تمثل الفرق بين عالم الانسان وعالم الحيوان ، منها انه عملت تجارب بسيكوجية للنحل بان وضعوا خليتها بطريقة تتحرك معها الى اي جهة ثم ادخلوا النحل للخلية من بابها ثم حركوا الخلية من موضعها فتغير مكان بابها فلما جاء النحل ليدخلها ضل السبيل وتجمع في المكان الذي كان به بابها اولا ولم يدرك ما حصل للخلية . وبعد تجارب عديدة تمكن النحل ، بالتجربة والخطأ ، ان يدخل الخلية من بابها . واني لا اظن ان الشخص منكم لو عاد من

رحلة فوجد باب داره قد تغير وتزحزح موضعه يضطرب ويقع في نفس الحيرة كما حصل للنحل بل يدرك التغيير حالا . فلو حاولنا ان نفسر سلوك النحل هذا لفسرناه كما فسرنا سلوك العنكبوت وقلنا ان ما في دماغ النحلة هو باب الخلية بما حوله ولا وجود للباب في دماغها منفصلا عما يحيط به من الاشياء . وساذكر حالة اخرى تدل في الظاهر على حمق الحيوان وهي تقرب مما سبقتها . درس العالم الهولاندي ديهان De Haan سلوك سمكة أم الحبر المعروف «بالسو بيس» فوجد انها تأكل عادة السلطعون الذي تجده يسبح في الماء او يزحف على ارض البحيرة . فمن المنتظر ان هذه السمكة حين تكون جائعة تأكل السلطعون أنى وجدته وفي اي حالة كان ولكن «ديهان» وجد عكس ذلك اذ انه ربط سلطعون في خيط وادلاه في الماء فلما رآه السلطعون لم يقربه لانه وجده مربوطاً بالخيط لا يسبح في الماء ولا يزحف على ارض البحيرة فلما اخلى هذا العالم سبيل السلطعون مشى الاخير في ارض البحيرة مع انه بقي مربوطاً بالخيط فرآه السلطعون وأكله

وهناك امثلة اخرى تبين الفروق بين عالم الحيوان وعالم الانسان . هنالك عدة حيوانات ترى وتسمع وتذوق وتشم كما نفعل نحن الا ان احساسها يختلف عن احساسنا. فمثلا نحن نرى اربعة الوان وهي الزرقة والحمرة والصفرة والخضرة الا ان الفراشة لا تميز الا لونين وهما الزرقة والصفرة وهذا نوع من عمى الالوان كذلك يمكننا ان نرى الالوان الشمسية من الاحمر حتى البنفسجي ولكن النحلة ترى هذه الالوان وترى ايضاً اللون فوق البنفسجي. والآن لنبحث في حاسة السمع فالانسان يسمع تذبذب الهواء بمقدار

٢٠،٠٠٠ تذبذبة في الثانية واما بعض انواع الجراد فتسمع ١٠٠،٠٠٠ تذبذبة للهواء في الثانية . ومن المشهور عن الكلاب انها تكره الموسيقى ولكن التجارب اثبتت انها تطرب لها اكثر منا. كذلك يمكننا ان ندرب الكلاب لتفرق بين صوت c وصوت cis وبعد تدريب قليل يمكنها ان تفرق بين هذين الصوتين مدة اشهر وكذلك يمكنها ان تسمع اصواتاً واطئة لا يمكن للاذن البشرية ان تسمعها . ومن المعروف ايضاً ان الاختبارات الخاصة بالاذن هي دقات الساعة فلو وضعنا ساعة تدق دقا مسموعاً لاذن الانسان على بعد اربع اقدام لسمع الكلب صوت دقات الساعة على بعد ٤٠ قدماً من أذنه . وهنالك روائح يشتمها الحيوان ولا يشمها الانسان ابداً الا اذا كانت قوية جداً . وبعض انواع الذباب تشم بعضها البعض على بعد عدة اميال اما نحن فنعجز عن الشم اذا طالت المسافة . وقد اجريت هذه التجربة بوضع الذبابة في علبة ذات غطاء شفاف حتى ترى وتنفذ الرائحة من هذا الغطاء . كما ان بعض الكلاب لها حاسة شم قوية تستعمل كما ذكرنا سابقاً في اكتشاف الجرائم . ولقد شوهدت كلاب الالزاشيان Alsatian تتبع أثر الرجل بعد ان يمضي عليه مدة ٢٤ ساعة وهنالك حيوانات كبعض الطيور وذوات الثدي لها اعضاء حس تمكنها من ان تدرك اشياء لا يمكن لاعضاء حسنا ان تدركها . وللان لا يمكننا ان نفسر كيف تهتدي الطيور المهاجرة الى طريقها في رحلاتها الصيفية والشتوية . ولقد أجريت اختبارات لتثبت غريزة الطيور في الرجوع الى الوطن وهي أنهم جمعوا طيوراً كالسنونو والزرزور كانت قد بنت اعشاشها في انحاء المانيا واخذوها في اقفاص مغلقة الى برلين مسافة ٢٠٠ ميل وهنالك اطلقوا سراحها فعادت الى اعشاشها . ولم يتمكن الفاحصون

ان يتابعوا سيرها في الهواء ولكن في تجارب أخرى اجريت للكلاب تمكن الفاحصون ان يتبعوها اذ وضعوا كلباً من « مونيخ » في جنوبي المانيا في صندوق خشبي مظلم حتى لا يتمكن من رؤية ما حوله ووضعوا الصندوق في سيارة واخذوه الى مكان يبعد عن « مونيخ » اربعة اميال، ولما وصلوا الى المكان فتحوا الصندوق واخرجوا الكلب وتبعه رجال لا يعرفهم وساروا معه في طريقه دون ان يتدخلوا بشؤونه الا حين يلتقي وكلباً آخر ليلعب معه فكانوا يحثونه على تركه ومتابعة السير . فكان تقريرهم ان الكلب حين اطلق سراحه اتجه نحو وطنه الاصلي وسار في شوارع عدة دون ان يستعمل حاسة الشم ولم تؤثر عليه البيئة الجديدة بل سلك سلوكا طبيعياً وبعد ان سار طريقاً معوجاً وصل بمقره الاصلي بعد ساعتين وهكذا قطع الاربعة اميال في ساعتين فقط مع ان الانسان يقطعها في ساعة واحدة لو سلك طريقاً مستقيما؛ ثم أعيدت التجربة وعاد الكلب الى وطنه الاصلي. ولكن ما يسترعي الانتباه هو ان الكلب في عودته لم يسلك الطريق الاعوج الاول بل سلك طريقاً مستقيما قطعه في ساعة ونصف اي اقل من الوقت الاول بنصف ساعة . ولاجل ان نفهم سلوكه يجب ان نعرف اولا ان اعادة التجربة الاولى كان لها اهمية علمية وهو يدلنا على ان الكلب في سلوكه هذا لم يكن يعرف الطريق والا سلك نفس الطريق التي سلكها في المرة الاولى . فلو فعلنا بالانسان ما فعلناه بهذا الكلب لضل سبيله ولما اهتدى الى بيته الا بعد عناء طويل وسؤال من يجده في طريقه ولكن الكلب يكتشف طريقه دون الاستعانة باحد هذين الامرين وباسرع وقت ممكن فكيف يعمل ذلك ؟ لا يقوم بهذه الاعمال مستعيناً بالرائحة او النظر او السمع او باية حاسة اخرى

ولـكن طريقته هي سر لا ندريه فهو يفوق الانسان لهذا الاعتبار

ولقد ذهب بعض الناس مذهباً عزوا فيه هذه المهارة في الـكلب الى نوع الذكاء الا ان هذا التفسير غير صحيح لا نستطيع به ان نحل هذه المشكلة . وليس هنالك من شاهد يدل على ان سلوكه يعزى الى ذكائه فهو لا يفكر في طريقه حين يعود الى مكانه الاول وسلوكه يختلف اختلافاً تاماً عن سلوك الحيوان الذي يتعلم بالتفكير على اساس الاسباب والنتائج .

هذا واريد ان أضيف بضع ملاحظات ممتعة تتعلق بمعرفة الحيوان للوقت فمعرفة الوقت عند الانسان سهلة للغاية فهو اما ان ينظر الى ساعته او يقدره من اوقات طعامه.ولـكن ما قولك بالحيوان الذي لا يملك ساعة ولا يأ كل في اوقات معينة ؟ لقد أجريت تجارب على النمل فوجد انه يملك مقدرة عظيمة من معرفة الزمن حتى صح ان نسميه بكل معنى الـكلمة « الساعات الحية » ولقد نجح العالم Beling في تدريب النحل على معرفة الوقت حتى انه كان يأتي في وقت معين لتناول طعام الفطور في الساعة السادسة صباحا تماماً ويأتي الساعة الثالثة بعد الظهر تماماً لتناول طعام الغداء . ولقد وجد ايضاً ان لا عبرة للساعة المعينة كما انه يمكن تدريب النحل ايضاً لان يأتي في ثلاثة اوقات معينةفي النهار ولتكن السادسة صباحاً والثالثة والسادسة بعد الظهر.ولقد عملت تجارب دقيقة اثبتت ان لا علاقة بين ضوء النهار ودرجة الحرارة بتقدير الوقت في الحيوانات حين تأتي لتتناول طعاماً لان هذه التجارب يمكن اجراؤها ايضاً في ضوء اصطناعي ثابت وفي خلية النحل الثابتة الحرارة

الصف الخامس   انور حديد

اراء حديثة في التربية الوطنية

من التحولات الملموسة في سياسة التعليم في الامم المتمدنة المحاولات الصادقة لتقريب حياة المدرسة من الحياة العامة وجعل الصلة بينهما على امتن ما يستطاع . ويبدو ذلك في اقحام مواضيع مدرسية جديدة واعمال مدرسية مختلفة في حياة المدرسة ومنهجها غايتهـــا تعريف الطلاب الى المحيط الذي يعيشون فيه والعالم الذي سيعملون فيه تعريفاً صحيحاً لا لبس فيه ولا اشكال . والغاية من هذا التحول صقل القوى الاجتماعية في الطالب الى جانب انماء الصفات الفردية بحيث تعده المدرسة اعداداً تاماً ليعيش في مجتمع دمقراطي حديث له نزعاته المختلفـة وبناؤه المركب .

وفي كتاب التعليم السنوي Year Book of Education 1936 مقال نفيس حول « التربية الوطنية » في بلاد الانجليز نقتطف منه الكلمة التالية .

قلما توجد مدرسة لاترمي الى انماء الروح الوطنية في طلابها الا ان الاكثرية الساحقة من مدارس اوائل القرن الحاضر كانت تقتصر في تحقيق هذه الغاية على درس في « العلوم المدنية » Civics ولم يعن المربون عناية تامة بتحديد مدى هذه التربية الوطنية ووضع شكل عملي لها الا في العهد الاخير . فالكل مجمع الآن على ان اغراض التعليم تتعدى اعداد الطالب لعمل منتج وتدريبه على الاستفادة من اوقات فراغه الى تهيئته تهيئة تضمن له ان يكون عضواً نافعاً في البيئة التي يعيش فيها ويتصل بها بمختلف الاواصر .

هنالك غرضان على القائمين بتربية الروح الوطنية تحقيقهما يساعد الاول

على حل مشاكل الحياة المعقدة التي تعرض للفرد في حياته الحديثة من اقتصادية وسياسية ويرمي الثاني الى تلبية نداء الوطن اذا دعا الداعي فليس على الفرد الا الطاعة . ولا بد من اعداد الفرد اعداداً خاصاً حتى يتيسر بناء مجتمع منتج وايجاد راي عام بصير . فعلى التربية الوطنية ان تفى بهذا الغرض .

لقد تغير مدلول التربية الوطنية Training for Citizinship في هذه الايام عن ذى قبل فهو من جهة اتسع مجاله ومن جهة اخرى ضاق نطاقه : فهذه التربية ضاق نطاقها فلم تعد تشمل جميع مظاهر التهذيب وعوامل التعليم بل اختصت بعلاقة الفرد بالمجتمع فهي تعده ليكون انساناً مدنياً على انه من الجلي ان تنمية قوى الفرد الشخصية مما يساعد اجل المساعدة في هذا الاعداد . وهذه التربية اتسع مجالها فلم تعد تنحصر في المام الطالب المامة بسيطة بالانظمة السياسية والاجتماعية بل تجاوزت ذلك الى دروس متنوعة في صلب المنهج واعمال مجدية في محيط المدرسة وفي خارجها .

مما ساعد على تحديد التربية الوطنية هذا التحديد الجديد وافساح مكان لها في البرامج المدرسية تزعزع الراي البسيكلوجي القائل بان العادات الخلقية والعقلية المتصلة بناحية من الاعمال من السهل نقلها الى ناحية اخرى تختلف عن الاولى . فاكثر علماء التربية على ان نقل الكفاية المكتسبة في موضوع الى موضوع آخر يكون على مقياس صغير جداً بالنسبة لما كان يظن وغالباً لا يكون هنالك نقل او تحويل بالمرة . من هنا نستنتج ان تدريب الطلاب على غرض خاص لا يتم الا بدراستهم دروساً لها مساس مباشر بذلك الغرض وان الاكتفاء بالمواضيع العامة التي تعمل على تنظيم القوى العقلية بوجه عام لا يجدي نفعاً .

ان الصفات التي ترمي التربية الوطنية الى بثها في نفوس الطلاب لتؤهلهم للحياة الكاملة متنوعة . وقد جاء في تحديد « جمعية التربية الوطنية » في لندن لاغراض التربية الوطنية ما يميط اللثام عن اهم هذه الصفات . فقد قالت هذه الجمعية التي تاسست حديثاً في دستورها « التربية الوطنية هي تهذيب الصفات الخلقية اللازمة لسكان مملكة دمقراطية وتشجيع التفكير الحر الصحيح في الشؤون العامة والاحاطة بمعرفة العالم عن طريق دروس التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعلوم المدنية والاجتماعية . ومن هذا التعريف يتضح ان الصفات التي يطلب توفرها في الانسان المثقف ثقافة وطنيـة صحيحة على نوعين خلقي وعقلي . فالصفات الخلقية هي الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والرغبة في ان يخضع الفرد مصلحته الخاصة ومصلحة طبقته للمصلحة العامة وان يقوم بقسط واف من العمل للمنفعة العامة ، والقدرة على الحرية في الحكم والفكر وحب الحرية والتسامح والميل الى طرق الاقناع دون طرق العنف .

اما الصفات العقلية فمنها الاهتمام بالشؤون العامة في العالم . ومعرفة التاريخ الحديث الاقتصادي منه والسياسي والاجتماعي والتعود على تطبيق المباديء العلمية وطرق التفكير المنطقي عند التعرض لبحث المسائل العامة . والاعتراف بالنزعات الشخصية والتخلص من قيود الدعاية .

اما عن الخطى العملية التي سارتها المدارس الانجليزية نحو ادراك هذا الهدف فقد جاء صاحب المقال على وصف جامع لما تقوم به مختلف المدارس من ابتدائية وثانوية وكليات وجامعات ومصلحة الاذاعة في هذا الميدان . وعلى سبيل المثال المحسوس لهذه المحاولات نذكر ان بعض المدارس رسمت خطة سديدة لتحقيق

الخلال الخلقية التي مر ذكرها بجعل الحياة المدرسية في هذه المدارس على اساس تعاوني قريب من الحياة التعاونية الحقيقية خارج المدرسة . والمدارس التي تعنى بهذه التربية تشجع الطلاب على تقدير المثل العليا في الحياة المدرسية وتحملهم على المساهمة في احياء هذه المثل العليا واعلاء شأنها وتحبب الى نفوسهم الحرية المشبعة بروح النظام من اجل المصلحة العامة . وتغرس هذه المدارس في نفوس طلابها روح الولاء والاخلاص للمدرسة وتثير فيهم حب الفرقة لا حب الذات بتشجيع الالعاب والاعمال التي تفنى فيها شخصية الفرد في شخصية الفرقة فالسباق العلمي والعملي يشجع على اساس الجماعات لا الافراد . وتسعى هذه المدارس جهدها في ان تجعل الشعور بالمسؤولية مشتركا بين جميع الطلاب غير مقصور على طبقة مختارة من العرفاء والقواد . وقد تبين ان في اختيار الطلاب للعرفاء والنقباء اثره المحمود في اذكاء روح المسؤولية في نفوسهم .

ولا ينكر ما للمعلم من عميق الأثر في احياء الروح العامة والرغبة في الشؤون العامة لا سيما اذا كان المعلم نفسه ممن يضرب في هذه الشؤون بسهم وافر . فالفرص التي تسنح لمثل هذا المعلم لحث الطلاب على واجباتهم نحو المجتمع الذي يدينون له بالكثير اكثر من ان تحصى. ويحرص مديرو المدارس في هذه الايام على ان يكون بين اساتذة مدارسهم من له الميل الشديد للعمل في حقل الاصلاح الاجتماعي وتدعيم التربية الوطنية .

اما المشكلة التي لم تتمكن هذه المدارس من حلها والتي تقوم من اجلها التجارب فهي ضمان بقاء الروح الذي تنبهه المدرسة في نفوس الطلاب قائماً عند انتقالهم الى ميدان الحياة الفسيح . والتجارب التي تقوم بها بعض المدارس لتثبيت هذه الروح

كثيرة فمنها زيارة الاحياء المظلمة من المدينة ومساكن الفقراء للتعرف على مشاكل السكان ومساعدتهم قدر الامكان . ومنها درس البناء الاجتماعي للقضاء الذي توجد فيه المدرسة وتفهمه ووضع خطط عملية لاصلاح ما يتراءى من نقص . وقد قام طلاب بعض المدارس بانشاء دار ندوة عامة للقرية التي فيها المدرسة وعمل آخرون على شد ازر مؤسسة خيرية او ايفاد بعثة مدرسية من الطلبة الاذكياء الفقراء وجمعوا لهذه الغايات الاموال الكافية . وكان للكشافة في هذا المضمار سبق ظاهر .

وهنالك عدد غير يسير من المدارس يشجع الطلاب على بحث المشاكل الاقتصادية والسياسية بحثاً حراً في الصف وفي قاعة الخطابة . والخوف من ان يتجه الطلاب اتجاهاً خاطئاً عند بحثهم هذه المسائل اخذ يتلاشى تدريجاً . وعدد المدارس التي تحرص على اعطاء معلومات تامة عن العالم الحديث في ازدياد مطرد . وهذه المعلومات اما ان تعطى ضمن المنهج العادي او ان يخصص لها دروس اضافية جديدة . ففي المنهج المدرسي العام يتوخى الاساتذة تنوير عقول الطلبة في هذه المسائل الى اقصى حد مستطاع . ولا يغرب عن البال ان في دروس التاريخ والجغرافيا والادب والرياضيات والدين ما يعمل على بث روح الوطنية والعمل المشترك وتشجيع التفكير الصحيح لفهم المشاكل الخارجية والمحلية على وجه كامل غير منقوص . وقد اخذت المؤلفات الحديثة في المواضيع المدرسية تتجه هذا الاتجاه في مادتها واسلوبها . فكتب التاريخ اخذت تعنى بتاريخ الحضارة والتطور الصناعي والاجتماعي اكثر من عنايتها بتاريخ الحروب والعلاقات الديبلوماسية . وكتب الجغرافيا لا تتقيد بوصف الظواهر الطبيعية والخواص الاقليمية بل تعرض

للجغرافية البشرية والاقتصادية وعوامل الانتاج وتوزيع الطاقة وغير ذلك من الابحاث الحديثة ومسائل الحساب لم تبق ارقاماً جامدة لا تمت الى الحياة بصلة بل بنيت على مسائل التجارة والصناعة والهندسة العملية وكذلك قل في الادب الحي وعلم الاخلاق .

اما المنهج الخاص لتعزيز التربية الوطنية فيشمل مواضيع مدرسية لم يكن للمنهج القديم بها من صلة كعلم الاقتصاد وعلم السياسة والقانون الدولي وعلم البيولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من المواضيع التي كانت مقصورة على الدراسة الجامعية . اما اليوم فهذه الدروس تحتل مكاناً مناسباً في مناهج بعض المدارس الثانوية الحديثة . وحتى المدارس الابتدائية حيث مدارك الطلاب ادنى من ان تعالج هذه المواضيع فقد وضعت خطط تكفل تقريب هذه الامور الى اذهان الطلبة عن طريق التمثيل . فيمثل الطلاب مثلا اعمال المجلس البلدي او مجلس النواب او مجلس جمعية الامم وغيرها من الاعمال العامة .

ولا يخفى ان هنالك صعوبات تحول دون تحقيق غاية التربية الوطنية تحقيقاً تاماً . فمن هذه الصعوبات ضيق الوقت فالمواد المدرسية المتنوعة والبرامج المختلفة لم تترك متسعاً لجديد . زد على ذلك الخوف من ان ينحرف المعلم عند بحثه هذه الامور الحيوية الحساسة الى وجهة نظره الخاصة فيفسد على الطلاب حرية تفكيرهم الا ان خطر ذلك ليس بالجليل لان في استطاعة المعلم الفطن التمييز بين الحقائق المجردة والآراء في اي بحث مهما كانت ميوله الخاصة . ولا تنس كذلك صعوبة ايجاد المعلمين الاكفياء والكتب الوافية بالقصد

وخلاصة البحث ان هنالك تنبهاً لتوجيه التعليم توجيهاً صحيحاً نحو التربية

الوطنية . وهناك تجارب عديدة تجريبية ومدارس كثيرة تسعى لتحقيق هذه المرامي الجليلة

...

وما احوجنا في هذا البلد الذي يعاني انقلاباً عظيما في بنائه الاجتماعي وقوامه التهذيبي الى ان نأخذ بهذه القواعد المفيدة في التربية الخلقية والتهذيب العقلي لنعد جيلايستطيع ان يقوم باعباء الانقلاب الملقى على عاتقه

وانت ترى يا زميلي المعلم ان المعلمفي بلادنا يحتاج الى ان يتبوأ مركزاً اجتماعياً ممتازاً ليؤدي مثل هذه الرسالة وان مناهج مدارسنا واسس حياتنا المدرسية تحتاج الى اعادة نظر قبل ان تضمن لنا ادراك هدف مثل هذا . فلنباشر بوضع حجر الزاوية في بناء المستقبل العتيد

محمد عبد السلام البرغوثي

التهذيب الموسيقي
في الكلية العربية[1]

المتحدثان : ا و ب

ا — اي نوع من الموسيقى ينبغي تعليمه في المدارس العربية ؟

ب — ينبغي ان يعنى اولو الأمر بايجاد فريقين من المعلمين ، وهما معلمو الموسيقى الاوروبية ومعلمو الموسيقى العربية .

ا — أمن المستحب انشاء قسم عربي يحسب ان الموسيقى الاوروبية تمثل طوراً أعلى من سواه في تطور الموسيقى وتقدمها ؟

ب — ان الموسيقى الاوروبية والموسيقى العربية يجب ان لا تعتبرا ممثلتين لاطوار مختلفة نشأت عن اصل او تطور واحد . بل بالحري يجب ان نحسبهما نوعين متباينين مر كل واحد منهما في اطوار استغرقت مئات من السنين ، ولكل منهما قابلية التطور الى مدى ابعد في جهته الخاصة . وهنالك فرق اساسي بين الموسيقى الاوروبية والموسيقى الشرقية (التي الموسيقى العربية فرع منها)، على ان لكل منهما حقاً في الوجود .

ا — ان الموسيقى الاوروبية قد تطورت في نواح، على الموسيقى العربية ان تسعى لنيلها . فانه، بينا نرى الموسيقى العربية تكاد تكون برمتها مقصورة على الحب ، نجد الموسيقى الاوروبية في مقدورها ان تتناول كل العواطف البشرية ،

---

(١) نقلها الى العربية الاستاذ حبيب الخوري

بل في مقدورها ان تصف حوادث ومؤثرات خارجية.

ب — هذا مختلف فيه . انه توجد — وقد وجدت — مساع ترمي الى جعل الموسيقى تعبر عن نواح عدة من نواحي الحياة البشرية . وهذا لا يصدق على الموسيقى الاوروبية فحسب ، بل على الموسيقى العربية ايضاً . فقد سمعت بنفسي قطعاً موسيقية من هذا النوع عزف بها بدوي على الناي . فكان في احداها وصف لهرب بدوية مع عاشقها ، ولما عقب ذلك من صدام مع اسد في الصحراء . ولم تمثل الناي اغنية العاشق وزغردة الفتاة فحسب ، بل قلدت نباح الكلب الحارس ، وتنهدات ام البنت لهرب ابنتها ، وزئير الاسد ، والقتال وانهزام الاسد،ورقص البنت من جراء الانتصار .

على ان هنالك اعتراضاً على قوة التعبير في القطع الموسيقية الوصفية . فاننا لا نقدر ان نفهم المراد بها الا اذا وقفنا على حقيقة القصة مقدماً . فاذا لم نعرف القصة حسبنا زئير الاسد زلزالا ، ورقص الفتاة سباق خيل . وهذا يصدق تمام الصدق على كل من الموسيقى الاوروبية والشرقية . وعندما يعزف بالموسيقى الوصفية في اوروبا يطبع معناها في البروغرام . اما في الشرق فيكون الناس عادة واقفين على القصة . واذا تغني بها فالكلمات هي التي تظهر في اوروبا وفي الشرق .

وعلى الجملة فقد نعتمد ، الى يومنا هذا ، على ما قاله الكندي ، وهو اقدم كاتب في الموسيقى ، في موضوع التعبير الموسيقي . فهو يقول بان هنالك ثلاثة انواع من التعبير وهي المحزن،والمفرح ، والمتوسط . وليس في مقدور التعبير الموسيقي ان يتجاوز ذلك . ان عواطف المؤلف وهي — المحزن والمفرح والمتوسط — قد يكون سبب الالهام بها كل فكرة مقررة او حادثة . على انه لا يقوى على ايصال

هذه الفكرة او تلك الحادثة الى سامعيه عن طريق المصطلحات الموسيقية . فاذا ما احب ان يفعل ذلك وجب عليه ان يستعين بالكلمات .

ا — ان تفوق الموسيقى الاوروبية يظهر من الائتلاف[١] Harmony ان لم يكن قوتها العظمى على التعبير . واذن افليس من الضروري ان يجعل الائتلاف هذا موضوعاً من مواضيع التهذيب الموسيقي ؟

ب — اذا نظرنا الى القسم الاوروبي من هذا التهذيب وجب حتما ان يكون الائتلاف من المواضيع الرئيسية . على انه لا بد في الوقت عينه من ان نفهم ان الائتلاف لا يمكن تطبيقه على كل نوع من انواع الموسيقى . فليس الائتلاف من علائم التطور الموسيقي الراقي ، كما ان عدم وجود الائتلاف لا يتخذ دليلا على انحطاط مستوى الموسيقى . ولا يوجد الائتلاف في اوروبا فحسب ، بل يستعمله الزنوج في اواسط افريقيا ، وطائفة كبيرة من جزائر البحر الجنوبي ، وبعض قبائل ملقا . وهذه القبائل على احط ما نعرف من درجات التمدن . واذن فليست مسئلة الائتلاف مسئلة حضارة ، بل مسئلة مزاج موسيقي خاص . ومبلغ الحضارة في أمة او قبيلة يرى بالاولى من الطريقة التي يستعمل فيها الائتلاف . على ان ذلك لا يصدق على الموسيقى التي هي خلو من الائتلاف .

ان الميل الى الائتلاف يتبدى في بناء الالحان او تركيبها . وليس كل نوع من انواع اللحن يتلاءم والائتلاف ، والموسيقى العربية على ما اظن هي اقل الجميع من هذه الوجهة . ان اتقان نظام الائتلاف قد تم للقوم في اوروبا ، ولكن ضحيت

---

(١) في الموسيقى الاوروبية اربعة اصوات تعمل معاً دون تنافر ويسمى عملها هذا Harmony

في سبيله الصفات التي جعلت الموسيقى العربية تتسامى في جميع عصورها التاريخية وهذه الصفات هي حسن الايقاع وسلامة ذوق في الزخرف او الزينة لا نظير لها ، وتمييز دقيق للفترات الموسيقية . فاذا ادخل نظام الائتلاف قضي على تلك المزايا جمعاء .

ا — ثمة ناحية اخرى تظهر منها الموسيقى الاوروبية ارقى من سواها . وهي استعمال الترقيم المكتوب على خمسة خطوط او فسحات متساوية . وبينا نجد موسيقيي العرب لا يقدرون ان يعزفوا بالنغمة الواحدة او يتغنوا بها مرتين على طريقة واحدة تماما ، لا نرى موسيقيي اوروبا يجدون صعوبة من هذا القبيل . ناهيك من ان الترقيم على الخطوط يحتفظ بالموسيقى مدى سائر الاجيال القادمة أفليس من حسن الرأي بادئ ذي بدء ان نعلم هذا الترقيم في البلدان العربية كما يعلم في البلدان الاوروبية ؟ .

ب — ان هذه المسئلة متعلقة كل التعلق بالمسئلة التى قبلها . لقد كان ضرورياً ان تكتب الموسيقى الاوروبية لان تركيبها الائتلافي المعقد يتعذر تعليمه شفوياً ، وبخاصة القطع التي يشترك فيها عدة من المغنين والعازفين ، ويأخذ كل منهم قسما يختلف عن الآخر . ولم يكن الترقيم الاوروبي ليكسب هذه الأهمية العملية لو لا الائتلاف ، لانه كلما ازداد الائتلاف تعقيداً اصبح الترقيم بالخطوط لايستغنى عنه . فيجب على كل من اراد ان يتعلم الموسيقى الاوروبية ان يتعلم الترقيم بالخطوط . ولذلك ليس من المستطاع اخراجه من القسم الاوروبي من مدرسة موسيقية عربية .

على انه من الخطأ ان نظن ان الترقيم بالخطوط يكون له ذات العمل والتأثير

في الموسيقى الشرقية . بل بالعكس يكون عنصر انحطاط وانحلال مثل الائتلاف فالتقاليد والذاكرة لا تتقوى بالموسيقى المكتوبة ، بل تضعف . وبالرغم من ان الموسيقى الاوروبية كانت مفرغة في قالب الترقيم بالخطوط منذ القرون الوسطى فما بعدها ، ليس موسيقيو يومنا هذا على اتصال بالموسيقى التي لم يمض عليها اكثر من قرنين ، وهم في حيرة من جهة كيفية القيام بها . فالاعتماد على الموسيقى المكتوبة معناه العدول عن التمرين الحي والتخلي عن روحه.

وغير خفي ان الموسيقى الشرقية احتفظت بتقاليدها احسن احتفاظ رغم انها لم تكتب . وقد اخترعت انواع عديدة للترقيم غير انه لم يطبق واحد منها . نعم ان الترقيم بالخطوط يمكن الموسيقيين من ان يسمعوا النغمة عينها مراراً عديدة دون ما تغيير . ولهذا الامر خطورته من حيث الائتلاف . أما الموسيقى الشرقية فليس ثمة من حاجة بها الى هذا التدقيق . فهو لا يزيدها جمالا بل يقضي على حيويتها وهي قد حافظت ، من جهة ذاتية النغمات او استقلالها ، على فكرة اوسع مما يوجد في الموسيقى المكتوبة.

ان الترقيم بالخطوط في الموسيقى الاوروبية لا يستعمل لان القاء النغمات رقماً رقماً هو مستحب فى حد ذاته ، بل يستعمل لتجنب الخطأ في الائتلاف . والغناء او العزف بواسطة الموسيقى المكتوبة يجعل التلاوات او التسميعات الموسيقية أشد ميكانيكية ، وهذا اهون الشرين من وجهة الائتلاف الاوروبي . ومن الجهة الاخرى فان الموسيقى العربية اذا قبلت الترقيم فقدت غريزتها وتطورها من تلقاء نفسها ، وخسرت اسلوبها، في حين انه لا يكتسب شيء من هذا التغيير .

١ — اذا كان الامر كذلك فما رأيك في ما يجب ان يعلم في القسم

الاوروبي وما يجب ان يعلم في القسم العربي ؟ .

ب — لا بد من اجراء امور ابتدائية قبل السماح للتلامذة بتقرير مصايرهم ازاء كل من ذينك القسمين . فلا ندحة عن جعلهم يلمون بالحقائق الاساسية في الموسيقى الاوروبية والموسيقى الشرقية ، وبالفروق بينهما . يجب ان يقال لهم (كما قلت في خطابي الذي قرأته في الكلية العربية في العام المنصرم) انه ليس ثمة من امر يدعو الى احتقارهم لموسيقاهم . ولتقوية هذه النقطة يجب ان يعطوا خلاصة تاريخية موجزة في الموسيقى العربية . بل يجب إدماج مبادئ التاريخ الموسيقي في منهاج التهذيب الموسيقي . فالذين تصح منهم العزيمة بعد ذلك على دراسة الموسيقى الاوروبية يجب ان تختبر فيهم القوى على سمع اوتار الآلات والارقام الغنائية ، والتثبت من تأثيرها . اي يعطون اختباراً يشبه الاختبار الذي يعطاه المبتدئون الاوروبيون . والذين يؤمل في مواهبهم الخير يفسح لهم المجال لتلقي تهذيب موسيقي اجمالي على حسب اسلوب من الاساليب الكثيرة التي ترتبت في اوروبا ؟

ا — لماذا لا يجب ان ينتفع كل الطلاب من هذه المساقات ؟ جميعهم يتكلمون الانكليزية الآن وبذلك يتسع افقهم . لماذا يحرمون فرصة كهذه في الموسيقى .

ب — هنالك فرق عظيم بين تعلم لغات اجنبية وتعلم موسيقى اجنبية . ففي تملك زمام لغة اجنبية مهمة فائدة عملية بينة ، ولا سيما الانكليزية ، في اي مركز من مراكز الحياة يحتله الطالب فيما بعد . ولا يؤمل ان تجنى فائدة عملية كهذه من تعلم العرب الموسيقى الاوروبية .

علينا ان نميز جلياً بين الغرض العملي والغرض الفني من تعلم اللغات . فانه عندما يتعلم العرب الانكليزية تكون الخطورة في جانب الغرض العملي . ويمكن ان يتعلموا بعد ذلك ان يتذوقوا الأدب الانكليزي ويستمرئوه . على ان هذا انما يكون في وسع طائفة صغرى منهم لها هبة خاصة لتفهم البيئات والعادات الاجنبية، وادراك الخيال والفكر الاجنبيين. ويكاد يستحيل عليهم ان يكتبوا في الأنكليزية نثراً ونظماً ويتغلغلوا في روحهما الحقيقية .

ان الموسيقى فن لا واسطة للتعامل والامتزاج ولكل حضارة اسلوبها الخاص للتعبير عن اعمق عواطفها واقصاها عن التعقل بالموسيقى . وليست الموسيقى بلغة دولية ، يدل على ذلك ان الاوروبيين والشرقيين لا يفهمون موسيقى بعضهم البعض . ولا التعبير الموسيقي عند اية امة او مجموعة من الأمم متوفر للاخرين بواسطة علم النحو والمعاجم . ولذا يجب ان لا تكون موضوع تعليم الا للذين توفرت فيهم الميول الخاصة اليها ، والمقدرة الخاصة عليها .

ا — ما هو منهجكم التهذيبي في الموسيقى العربية ؟

ب — من جهة الموسيقى العربية يجب ان تتألف اقسام فرعية ثلاثة:

(١) الموسيقى المدنية .

(٢) الموسيقى القروية .

(٣) الموسيقى البدوية.

ا — أتعتقد حقيقة ان الموسيقى القروية والبدوية يجب ان تعلما ؟. إن كلا بلا نظام ونغماتهما على وتيرة واحدة؟

ب — لا واحدة منهما بلا نظام . فللموسيقى القروية والبدوية قواعد واصول ، ولها عدد عظيم من الصور والحالات . ولا بد من تعلم الشيء الكثير عنها قبل الحصول على ملكتها . اما قيمة النغمات فليس في مقدور احد اعطاء حكم فيها الا اذا كانت له وجهة نظر ابنائها وكان من الخبراء فيها . ان الأمر المهم هو ان يكون الذين توجه اليهم هذه الانواع من الموسيقى وتنشأ بينهم من الذين يقدرونها و يرتاحون اليها . وانني شخصياً اعتقد ان الاغاني البدوية لها من المزايا ما قد تحسدها عليه الموسيقى المدنية ، و بخاصة تلك الروح العالية والمنشطة. وحينما يتغنى بها عند اهلها ومقدريها تثير الحماسة التي يرمي اليها كل موسيقي .

ولا بد من ان يتولى تعليم كل نوع من الانواع الثلاثة اهل الخبرة والاخصاء من الموسيقيين ، وايجاد هؤلاء الاخصائيين هو اول شيء ينبغي ان نعمله . و يجب ان يعرف معلم الموسيقى النظم التقليدية للمقامات والتوقيعات ، وكيفية استعمال كل منهما. و يجب ايضاً ان تكون له إلمامة بالفروق الرئيسية بين الاساليب الموسيقية في سائر انحاء الشرق الادنى . و يجب ان تكون له معرفة تامة بآلة من الآلات الموسيقية الكلاسيكية كالعود والقانون على الاقل وبالتطبيل ، وان تكون له موهبة تمكنه من اختراع الانغام . اما معلمو الموسيقى القروية او البدوية فينبغي ان يكونوا من اصل قروي او بدوي . و يصدق هذا القول عينه على التلامذة الذين يلتحقون بالصفوف . ولا منتدح للمعلمين عن ان تكون لهم معرفة تامة بجميع انواع الأغاني مع معرفة جنس او صنف كل منها ، وان يكونوا قادرين على انشاد مقدار عظيم من الاغاني على اختلاف انواعها . ولا بد لهم من اتقان العزف على الربابة اتقاناً تاماً، وربما لزم ذات الشيء من جهة الشبابة . ولا بد لهم من فهم الاختبارات التي

يغنونها والمقدرة على تفسيرها فهماً وتفسيراً تامين . واذا كانت فيهم الموهبة لعمل كتب مدرسية من تأليفهم الخاص جاء عملهم هذا نفيساً ونافعاً.

وينبغي ان تتاح الفرصة للطلاب الذين عقدوا النية على دراسة قسم من الاقسام لكي يعيدوا نظرهم فيما اختاروه من وقت الى آخر . فان بعض الذين وقع اختيارهم اولا على الموسيقى الاوروبية يرغبون في تلقي الموسيقى العربية وبالعكس . وهذه التغيرات هي من اللذة على جانب عظيم ، وتلقي شيئاً من النور على الاذواق والميول الموسيقية المنتشرة في هذه البلاد .

الدكتور روبرت لخمان

الماء [١]

الماء مادة لها شديد الارتباط بحياتنا وحياة النبات والحيوان جميعاً ، فهي تغطي ثلاثة ارباع سطح الكرة الارضية وتكوّن اربعة اخماس انسجتنا الرخوة وزناً . ويمكننا ان نقصر ضرورياتنا في هذه الحياة على التراب والهواء والماء ونور الشمس . اما المـــاء فلنا به مســـاس كبير . فلنتأمل مثلا في ما تثيره الكلمة من الافكار في راس الحبشي والغسال والبحري وصائد السمك والمهندس والبستاني والكيماوي والشاعر والفنان والسياسي واللاهوتي وربة البيت والرحالة والجغرافي والتاريخي ورجل المطافئ والاطفال وغيرهم .

---

(١) مترجمة عن مجلة The School عدد كانون الثاني ١٩٣٦

اما في عملنا المدرسي فكثيراً ما نجابه موضوع الماء ، اذ نجده في درسنا الطبيعـة والزراعة والصحة والتدبير المنزلي والجغرافيا الاقتصـادية والطبيعية والسياسة وعلم الموجودات الطبيعية وعلم الحياة والطبيعيات والكيمياء . وانه لمن المستحسن ان نضع الابحاث التفصيلية جانباً وندخل في البحث العام . ففي الملخص التالي عبثاً يبحث الفرد عن اشياء مألوفة . فانه من الواضح تقريباً ان هذه الخلاصة تحتاج الى تعديل سديد لتصبح مناسبة لسد المطاليب الخاصـة .

وهاك ملخص ما في الابحاث المتعلقة بالمـاء :

١ ـــ اشكال المـــاء

ا ـــ صلب ـــ الجليد ، الثلج ، الصقيع الابيض .

ب ـــ سائل ـــ الضباب ، الغيوم ،الندى ، القسم الابيض من البخار الصاعد من الماء الغالي ومن النفس في الطقس البارد .

ج ـــ غاز ـــ الغاز العديم اللون الموجود في الهواء وفي النفس قبل ان يبرد القسم العديم اللون من بخار الماء .

٢ ـــ استعمال الماء في البيوت

ا ـــ للشرب

«١» الماء وسط يمكن ان يحتوي على الجراثيم المسببة لبعض الامراض كالتيفوئيد والارتباكات المعوية .

«٢» شروط صلاحية الماء للشرب في البيوت المنعزلة (ا) الينابيع (ب) الآبار العميقة والقليلة العمق ومحلها وحفظها (ج) تحليل الماء

المشكوك في امر صحته للشرب من قبل دوائر الحكومة المختصة بذلك

ب — في الطبخ

«١» تأثير غليان الماء على قابلية الاطعمة النشوية للهضم مثل دقيق الشوفان والخضروات .

«٢» تليين القسم الخلوي من الخضروات بالماء الغالي .

«٣» ازالة الاملاح المعدنية القابلة الانحلال بالغليان مدة طويلة .

ح — في حفظ الاطعمة

«١» بواسطة الجليد .

(«٢» وهناك طريقتان اخريان لحفظ الاطعمة وهما التجفيف والمعالجة بالاملاح ولا دخل للماء فيهما).

د — في التنظيف

«١» الماء كمادة مذيبة للصابون (الماء احسن مادة مذيبة في العالم يتلوه الكحول في ان الفرق بينهما كبير في ذلك)، الماء العسر والماء اليسر.

«٢» الشطف .

ه — ازالة الفضلات .

«١» تنظيم مجاري الاقذار في البيوت المنعزلة

«٢» الوعاء المانع للعفونة

«٣» البكتيريا المفيدة .

و — كوسيلة للتدفئة

«١» طرق التدفئة بالماء الساخن : التيارات الناقلة

«٢» طرق التدفئة بالبخار .

«٣» منافع ومضار طرق التدفئة بالماء الساخن والبخاروالهواء الساخن

ز — في التندية (الترطيب)

«١» تقرير وجود بخار الماء في الهواء .

«٢» معنى درجة الرطوبة .

«٣» السبب في كون درجة رطوبة هواء كثير من البيوت في الشتاء منخفضة

«٤» تاثير الهواء الجاف على الصحة والاثاث والاشغال الخشبية .

«٥» تعيين درجة الرطوبة بواسطة الهيجرومتر وهو ميزان لايجاد درجة الرطوبة في الهواء ذي المستودع الجاف والمستودع المرطب .

«٦» طرق ترطيب الهواء في المنازل .

٣ — استعمال المـاء في البلديات

ا — رش الشوارع

ب — ارواء الحدائق وبساتين الزهور البلدية .

ج — الحمامات العامة .

د — كمية ماء الشرب

«١» لمحة تاريخية : مجاري المياه في رومية . ابار جمع مياه المطر في قرطاجنة . اول الآبار الانجليزية في الاديرة . ماء الشرب كاهم المنافع العامة .

«٢» منابعه : الآبار الارتوازية ، الانهار ، البحيرات .

«٣» النباتات المطهرة.

«٤» طرق التوزيع

هـ — مكافحة الحرائق

«١» الحرائق المدمرة في العصور السالفة كحريق لندن والتي سببها عدم وجود الماء المضغوط

و — ازالة المياه القذرة

«١» تنظيم مجاري الاقذار في المدن الساحلية

«٢» مشاكل الناس في داخلية البلاد كجواز افساد منبع مياه الشرب

«٣» وسائل التنظيف والتصريف كالموجودة في تورنتو وشيكاغو

ز — دفع الاهالي ثمن المياه

٤ — استعمال المياه في الصناعة

ا — صناعة الورق (الاخشاب المحمولة على الانهار ، كميات الماء الكبيرة المستعملة لادارة الطواحين) الآبار الملحية ، المدابغ . .الخ .

ب — الضغط المائي

حـ — استحضار غاز الماء

٥ — قوة الماء الساقط

ا — قابل بين صدمتين ناشئتين عن اصطدام ولد كبير ثم ولد صغير بابيهما

عند سقوطهما عن منزلق منحدر . قابل صدمتي ولد نازل عن منحدر عال وعن وعن منحدر منخفض. مماثلة سقوط الاولاد لسقوط الماء ، كلما زاد الارتفاع والوزن كانت القوة الناتجة في اسفل اكثر

ب — منفعة الماء الساقط والماء الجاري

«١» الطواحين المائية القديمة النمط

«٢» النافورة الحديثة

«٣» القوة الكهربائية المائية

«٤» المشاريع للاستفادة من خزن المياه والمد

حـ — قوة الماء الساقط والجاري الناشئة عن الشمس

(مقابلة : الطاقة الحرارية المنقولة بالماء الساخن او البخار في Radiator المستحصلة من الفحم او البترول في الموقد . طاقة الخشب او الفحم او البترول المنشأة في الشمس . قوة المد والجزر الناتجة عن القمر والشمس لكن الثانية هي منبع قوة الاولى

٦— الماء والنقل

ا — رخص النقل بحراً .

ب— علاقة البحار والبحيرات والأنهار والقنوات بالنقل.

حـ — الاستفادة من الثلج في نقل جذوع الاشجار ، وفي سير المركبات الزلاقة ، والسير بالاحذية الثلجية ، والانزلاق على الثلج .

٧ــ تكوين التربة ونقلها بواسطة الماء

ا ــ تكوين التربة .

«١» بواسطة بخار الماء : بخار الماء في الهواء عامل في نحت الصخور .

«٢» بواسطة الماء السائل : (ا) نحت الصخور بواسطة الماء المحتوي على ثاني اكسيد الكربون (ب) التآكل بالماء الحامل ذرات الرمل والحصى .

«٣» بواسطة الجليد : (ا) عندما يتجمد الماء يكون حجم الجليد المتكون اكبر من حجم الماء الاصلي . والنتيجة ان الصخور تتشقق بتجمد الماء الموجود في نخاريبها . (ب) التعرية وعواملها في العصر الجليدي .

ب ــ نقل التربة

«١» تكوين دالات الانهار كما هي الحالة عند مصاب الانهار مكنزي وسنت كلير والمسيسبي والنيل .

«٢» نقل التربة من شمال اونتاريو الى جنوبها في العصر الجليدي .

٨ــ الماء وحياة النبات .

ا ــ النسبة المئوية بين وزن الماء ووزن النبات في الأخير كبيرة جداً

ب ــ نقل الأملاح النيتروجينية الضرورية بواسطة مياه التربة الى جذور النبات.

«١» صعوبة الماء في التربة ــ الجاذبية الشعرية.

«٢» امتصاص شعيرات الجذور للمحلول .

حـ ــ ميل الجذور الى النمو في اتجاه الماء.

د — استفادة الأوراق من طاقة اشعة الشمس لمزج الطعام وتركيبه من المواد الخام اي الماء وثاني اكسيد الكربون . وفعالية النباتات الخضراء هذه اساسية في حياة الحيوانات والنباتات الطفيلية والتي تعيش على المواد العضوية المتعفنة .

ه — الترشيح

و — مرور الماء في النباتات وسيلة من وسائل تخفيض درجة الحرارة

ز — للماء اهمية كبرى في تجهيز النباتات بصلابتها

ح — مقدار الماء الساقط عامل في تعيين نوع الزراعة في اقليم من الأقاليم

ط — الماء موطن للنباتات

«١» النباتات الخضراء

«٢» نباتات مائية اخرى مهمة كحشيشة البحر والارز مادامت قشرته عليه

(ملاحظة : وجود الماء الكافي ضروري لنمو الأرز الذي هو غذاء الملايين من الآسيويين . كما ان عدم سقوط الأمطار حالة طبيعية للصناعة الاساسية في تشيلي وهي استخراج النيترات)

«٣» تكوين مستنقعات للفحم Peat مواد نباتية تستعمل كوقود

٩ — الماء وحياة الحيوان

ا — يكون الماء ٨٠ ٪ من انسجة الحيوانات الرخوة

ب — ضرورة الماء لهضم الطعام وامتصاصه

ح — ازالة الماء بواسطة الكلى والجلد والرئتين

د — الماء موطن للحيوانات

«١» صيد الأسماك

«٢» صيد الحيتان

«٣» الغوص لاستخراج اللآلئ

«٤» ذوات الفراء مثل : عجل البحر والقندس وفارة المسك

«٥» الطيور المائية وطيور الشواطئ مثل البط والنورس والسماك والانيس

(ومن اهم المظاهر الطبيعية ان أعظم كثافة للماء تكون على درجة (+٤°) مئوية فلو ان أعظم كثافة للماء على درجة صفر مئوية لبـــدأ بالجمود من قعر النهر او البحيرة فصاعداً واثر ذلك في الحياة المائية يتضح إذ ذاك)

١٠ — تأثير الماء على المناخ

ا — الماء يحتاج الى حرارة اكثر من اي مادة اخرى لترفع درجة حرارة كتلة معينة منه مقداراً معيناً من الدرجات . وبالعكس فانه عند تبريده يعطي حرارة اكثر من تلك المواد الاخرى . وبالاختصار فحرارة الماء النوعية كبيرة جداً

ب — ولذلك نرى ان قرب الكميات الكبيرة من الماء من مكان ما يمنع ارتفاع درجة الحرارة كثيراً في الصيف وانخفاضها كثيراً في الشتاء (قابل ذلك بالأرض الرطبة و بطء دفئها في الربيع)

ح — نسيم البحر والبر والرياح الموسمية الناشئة عن اختلاف الضغط المسبب عن الحرارة والبرودة في البر والبحر

د — تأثير التيارات البحرية على المناخ مثل تيار الخليج وتيار لبرادور

ه — يعمل بخار الماء وثاني اكسيد الكربن كغطاء يمنع تسرب الحرارة السريع من سطح الارض

١١ — تركيب الماء

يتركب الماء باتحاد عنصرين عديمي اللون والرائحة وهما الاكسجين والهيدروجين

١٢ — علاقة الماء بالتاريخ

ا — المدنيات القديمة في وادي الدجلة والفرات ووادي النيل

«١» خصب الارض وقابليتها العظيمة للسكن ، وحالتها التي تجعلها قابلة للتقدم المدني

«٢» الحاجة للري جعلت الناس مضطرين الى التجمع

«٣» علم الهندسة والمساحة الناشىء عن الحاجة الى قياس الاراضي المستمرة التغير في الحجم بسبب الفيضانات

ب — طرق القوافل وامكنة راحتهم في البلاد الشرقية المنحصرة في الآبار والواحات

د — تأثير الطرق البحرية على التجول والاقامة

«١» التفتيش عن طريق بحرية الى الشرق سبب اكتشاف الدنيا الجديدة وبقاع اخرى

«٢» الطرق المهمة في التجوال والاقامة في اميركا الشمالية

ا — سنت لورنس والبحيرات الكبرى ومجموعة المسيسبي والمسوري

ب — هدسن وبحيرة شمبلين وسنت لورنس

ج — هدسن وموهوك وبحيرة اونتاريو

«٣» التجول في افريقيا الوسطى وعرقلته بصعوبة الملاحة في الانهار ، في مصبه للكونغو مثلا

د — الشعوب التي لموقعها البحري تأثير كبير على تاريخها مثل :

«١» الفينيقيين «٢» بريطانيا العظمى «٣» هولنده «٤» البلاد السكندنافية

هـ — الشعوب التي لعدم قربها من البحر او امتلاكها موانئ غير مهمة تأثير على تاريخها مثل :

«١» بولندة

«٢» روسيا — وطلبها مرفأ دافئ المياه ، استانبول ، فلادفستوك

و — القنوات

«١» قناة السويس

ا — تأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية

ب— تأثيرها على العلاقات بين بريطانيا وتركيا وروسيا

«٢» قناة بنما

ا — قيمتها الحربية للولايات المتحدة

ب— ظهور جمهورية بنما

ز — اماكن صيد الاسماك

«١» ميكيلون — ومجموعة سنت بير — بقية الامبراطورية الفرنسية في اميركا الشمالية

«٢» معاهدة هاليبوت — وهي خطوة مهمة في تطور دستور كندا

١٣ – الماء والادب

(ان الأدب في انجلترا وكندا غني من جهة البحار والأنهار والبحيرات، وقصيدة شلي في « السحاب » تتضمن وصف شاعر لبعض مظاهر الدورة المائية)

الصف الخامس **موسى الموسى**

الثورة في التهذيب (١)

ان كاترينا الكبيرة قيصرة روسيا صرحت عند افتتاحها النظام التهذيبي الذي اقرته لحكومتها ان الأهداف التي ترمي اليها هي « خلق رجال ونساء جدد ». وأهداف الطموح هذه لم ينظر اليها معاصروها ، بل لم تنظر هي اليها نظرة الجد والاهتمام . ذلك لان خلق جنس جديد من الناس على اكمل معانيه يتضمن انقطاعا تاما عن الماضي ورميا للحضارة الاوروبية جمعاء من حالق ، وبناء لحضارة جديدة على أنقاضها . وليس بخاف ان الثورات التي قامت في ماضيات الايام لم تحاول هذا الامر المستحيل البتة . ولم تغب عن اشد المصلحين تطرفا ضرورة ربط مثلهم العليا بالماضي ، واظهار تلك المثل كالعناصر الاصلية لطائفة من الديانات والامم والطبقات . فكان الاصلاح البروتستانتي « عودة الى المسحية الاصلية » وكانت الثورة الافرنسية « عودة الى حقوق الناس الطبيعية » وكانت الحركة القومية « عودة الى القومية الاصلية » . وقد فسرت كل الحركات الجديدة بكونها نواحي « صحيحة » لذلك الماضي . ولذلك قبلتها الجموع والاقوام . ومما يشك فيه ان تنجح أية

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف

ثورة في الماضي بدون هذا التمويه او التغيطة . على أنه يوجد في هذه الاقوال او المزاعم اكثر مما يظهر على سطحها. فان جميع المثل العليا الجديدة لا تجابه بها الانسانية من قبل عقل مخترع الا اذا نشأت عن الماضي بواسطة عملية التبريض (التفريخ) الطويلة. وليست ثقافة الدهماء او الغوغاء الجديدة، والثقافة الايطالية، والثقافة الالمانية التي ابتدئ بها وسارت جنبا الى جنب مع الحركات الثوروية في روسيا وايطاليا والمانيا بالجديدة كل الجديدة كما يدعي قادتها وحاملو لوائها . فانهم بوصفهم لحركاتهم ونعتها بالدهماء (الروسية) «الصحيحة» والايطالية « الصحيحة » والالمانية « الصحيحة » يرجعون الى الماضي . والفرق الحقيقي بين الاصلاح التطوري في البلدان الديموقراطية وبين التغيير الثوروي في هذه البلدان الثلاثة قائم في الاساليب المستعملة من قبل الحكومات وليس في المثل العليا . وهذا هو سبب جعلنا روسيا وايطاليا والمانيا في مجموعة واحدة لنبين الفرق بينها وبين باقي اوروبا ، بالرغم عما يتراءى لنا من تناقض تلك المجموعة في مثلها العليا . إن لفي الشيوعية والفاشستية والنازية نقاطا مشتركة كثيرة حتى في فلسفاتها الخاصة التي نشأت تاريخيا من ذات المصدر وهو المدرسة الالمانية ذات المثل العليا ، — وبخاصة من فهم المراد بالحكمة على حسب مذهب هيكل . وفي مقدورنا اذا استعملنا المصطلحات الخاصة بفلسفة هيكل ان نصف اشتراكية روسيا كفكرة موضوعة للبحث وقومية ايطاليا كمضادة لها والاشتراكية القومية في المانيا كالمركب من الفكرتين . وقد اظهر مذهب ماركس من جهة حرب الطبقات ان الايطاليين الذين تطور في بلادهم ذاك المذهب على اصول قومية هم من الغوغاء الذين نالهم ظلم الراسمالية . وأن الالمان نالهم ظلم البرجوازية الذين هم من اصل غريب. ولارجاع العدل الى نصابه كان لا ندحة عن اتخاذ نظام شديد وإخضاع

الحقوق الفردية كلها الى حق الطبقات او الامة جمعاء . ولذا عد المقاومون لهذه الخطة أعداء وخائنين للطبقات او الامة ووجب ايقافهم عند حدهم بلا رحمة . ومن اجل ذلك وجب ان ينظم التهذيب بحيث يكون هدفه الاوحد خلق جيل جديد له مقاصد وآراء موحدة . ولا يخفى ان التنعم بتنوع الآراء والافكار ، وهو روح الديموقراطية وجوهرها ، يتعذر إدخاله في حكومة موحدة تناصب الماضي العداء . وأذن فلا بد من غربلة التقاليد الثقافية الموروثة عن الماضي غربلة شديدة ، وادماج النقاط والامور التي لا تتعارض والتفكير الجديد في المنهاج الدراسي . على أن الانتباه قد تحول من داخل المدرسة الى اعمال تجري خارجها . وصار من الواجب تنظيم الجيل الناشىء كله على اسلوب عسكري وذلك لحمله على قبول الآراء الجديدة ، وبذلك يقاوم النفوذ التقليدي للعائلة والكنيسة والادب الكلاسيكي . وهذا يدرك ويحقق بواسطة انشاء تنظيم حزبي قوي يحمل لواء الثقافة الجديدة ويتمتع باحتكار في التهذيب تمنحه اياه الحكومة . وهذه النقاط تشترك فيها البلدان الثلاثة التي نبحث فيها . وقد تحققت اولا في روسيا السوفييتية . ويكاد لا يكون شك ان موسوليني وهتلر استعملا اعمال لنين وقفيا على أثره متبعين اساليبه ، وان كانا في العلانية يمكن ان ينكرا اية علاقة لهما بالشيوعية الانكار وشديد .

من الشاعر الانكليزي العبقري شيلي

الى قنبرة

سلام ايتها النفس المرحة !
اما الطير فلم تكونيه قط
من السماء او من على كثب منه
انصب قلبك المترع
بذوب العبقرية واكسير الفن الجميل .

تساميت طالعة من الثرى
ولا تزالين تتسامين
كسحابة من نار
تجتاحين جنبات اللازوردي
فتغردين وانت تحلقين وانت تغردين .

في البريق الذهبي
للشمس الغاربة
التي يلتمع من فوقها السحاب
تسبحين وتجرين
كالغبطة الهيولية بدأت مضمارها الساعة .

المساء الشاحب الارجواني

يذوب حول مطارك
كنجمة السماء
في وضح النهار
لا تشاهدين ، على اني لا ازال اسمع مرحك الثائر ،

ماضية كالسهام
لتلك الكرة الفضية
التي يتضاءل مصباحها الوهاج
في صفاء الفجر الابيض
حتى نكاد لا نرى — ونشعر انها هناك .

الكون والاجواء
تدوي بصوتك
كالقمر في الليل الصافي
من سحائب الغيث
يمطر اضواءه فيفيض بها الوجود .

ماذا تكونين ايتها الشادية ؟
ما الذي يشبهك اشد الشبه ؟
من قوس الغيث لا تتساقط
لامعات القطرات
كما يفيض من حضورك هتون الألحان المثيرة .

كالشاعر المحجوب
في ضوء الفكر
ينشد الأغاني المحرمة
حتى يبيت العالم
تشاطره الامال والمخاوف

كالبكر ذات المحتد
في خدرها المنيف
تهدئ ساعة الهجوع
نفساً عمرها الهوى
بموسيقى عذبة كالهوى تفيض على بستانها الظليل .

كسراج الليل الذهبية
في وهدة من الندى
تنثر وهي محجوبة
صباغها الأثيري
بين الأزهار والعشب التي تسترها عن العيون !

كوردة محفوفة
في اوراقها الخضر
افتضتها الرياح الدفيئة
فبات عطرها الجميل

بنفحاته السابيات يخدر منه ثقال الأجنحة من اللصوص :

صوت غيوث الربيع
على الأخضر المتلألئ
والرياحين ايقظهـا القطر
انبعث بهيجاً صافياً عذباً
امـا موسيقاك فقد سمت عنه :

اكشفي القناع ايتها الجنية او الغير
عن خواطرك العذاب :
ما سمعت قط
مديحاً في الحب والخمر
افاض غمراً من الذهول القدسي كالذي افضته .

ترنيمة العرس في مهرجانه
او انشودة الفتح المبين
لو قيستا باغرودتك لما كانتا كلتاهما
الا لونا مكذوبا من الفخار
الذي نستشعر فيه بحاجة محجوبة .

اي الاشياء هي مبعث عيشك السعيد ؟
اهي المروج والامواج والجبال ؟

ام هي الاجواء والسهول ؟
اهي الجهل بالالم ؟
ام حب ما تشبهين ؟

الى جذلك الصادم الصافي
لا يسكن الوهن
شبح الـكدر
ما نزل ساحتك قط
تحبين — ولـكنك لم تتذوقي قط حزن الحب الشديد .

ساهرة كنت ام هاجعة
لحسابك للعدم
اصدق انباء وابعد غوراً
مما نحسب نحن بني الانسان
والا فكيف سرت الحانك في هذا المسرى البلوري ؟

نلمح الماضي ونشاهد الحاضر
ونتوق للمجهول
اخلص ابتساماتنا
مفعمة بلون من الالم
اعذب اغانينا تلك التي تتحدث عن آلم خواطر النفس .

على انا لو استطعنا ان نحقر
البغض والغروز والخوف
ولو انا ولدنا
لا لنذرف دمعة
لما هزنا الا نشوات مرسلات من الغبطة .

خفق الناي
واغتراد الوتر
ذخائر الفن
بين طي الـكتب
لم تهج في الشاعر ما اهجته يا رفوف الجناح !

علميني نصف المسرات
التي يفهمها ذهنك
يغض من شفتي
هذا الجنون المقفى
فيصغى العالم الي — كما انا مصغ الساعة .

مدرسة غزة الثانوية
درويش زوبع

جغرافيو العرب

(١) الشريف الادريسي

نسبه ومولده :—

هو الشريف ابو عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن ادريس الملقب بالصقلي . ويرجع في نسبه الى اسرة الادارسة التي حكمت مراكش خمساً وثلاثين سنة اي من سنة ٧٩١ — ٩٢٦ م ورأس هذه الاسرة هو ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه.

ولد هذا العالم في مدينة سبتة شمالي افريقيا سنة ١٠٩٩ م من ابوين شريفين وفي رواية اخرى انه ولد في تطوان من اعمال (مراكش) .

ولما مات جده ادريس الثاني حاكم مقاطعة مالقة سنة ١٠٥٥ م استولى حاكم غرناطة عليها فاضطرت اسرة الادارسة ان تهجر المدينة الى سبتة حيث ولد عالمنا الجغرافي كما اسلفنا . اما ما نعلمه عن حياته الاولى فقليل جداً . الا انه عندما كبر وترعرع ذهب الى قرطبة ودرس فيها واستدل العالم الالماني (كونراد مللر) على ذلك من وصف الادريسي لمدينة قرطبة اذ كانت وقتئذ محط رحال العلماء والمنهل الوحيد الذي يستقى منه العلم في اوروبا لكثرة مدارسها وجامعاتها .

اسفاره : —

نشأ هذا العالم وقد حببت اليه الاسفار والرحلات من صغره فبدأ اسفاره وهو في السادسة عشرة فزار مدينة لشبونة وطاف الاندلس وقطن مدة في مراكش

ورحل الى قسطنطينية وتغلغل في شمالي افريقيا ويقال انه سافر الى شواطئ فرنسا وانجلترا وآسيا الصغرى فاثرت جميع هذه الاسفار عليه فدرس عادات الاقوام التي رآها وخطط جميع البلدان التي زارها واولع بعلم الجغرافيا حتى اصبح احدى الشخصيات البارزة في هذا العلم في القرن الثاني عشر الميلادي . وقد وسع نطاق علم الجغرافيا وفاق من سبقه في وصف احوال المعمورة مثبتاً كتاباته بالخرائط العديدة التي يمكننا ان نصفها بانها الاولى من نوعها في ذلك العصر .

الادريسي وملك صقليا :—

وكان في صقليا في زمنه ملك نورماني يدعى روجار الثاني آلت اليه مقاليد الحكم فيها . رأى هذا ما عليه المسلمون من الحضارة فجعل بطانته منهم وقد شغف هذا الملك بعلم الجغرافيا والبحث عن وصف الممالك والاقطار فارسل في طلب الجغرافيين من كل قطر ليؤلفوا له كتباً او رسائل يبحثون فيها عن العالم المعروف في ذلك الزمن فكانت جميع هذه المعلومات ناقصة ولم تروِ ظمأ الملك المتطلع الى أبعد ما كانوا يفكرون فيه واراد ان يفتش عن رجل اهل لتلك الغاية فارشده المسلمون الى الشريف الادريسي ، فبعث الملك في طلبه فاتى ولبى الدعوة وبالغ الملك في اكرامه والحفاوة به حتى انه كان كلما دخل عليه هرع لاستقباله عند الباب ثم اجلسه الى جانبه على سرير ملكه . وعندما كان يفرغ من الحديث معه كان يشيعه بنفسه الى عتبة قصره .

وهكذا عاش هذا العالم في بلاط روجار الثاني واخذ يشتغل هناك بالمؤلفات الجغرافية اذ استفاد من سكناه هذه الجزيرة فاحتك بالتجار والبحارة الصقليين ونقل عنهم كثيراً من الاخبار عن اوروبا وسواحلها ضمنها كتاباته المشهورة دع

عنك المعلومات الكثيرة التي اتى بها روجار الثاني بواسطة رسله الى مختلف الامصار والاقطار مما يدعونا للقول بان ذلك الملك كانت له نزعة علمية شرقية كالنزعات التي كانت عند الاسكندر والمأمون .

مؤلفاته :—

(١) ان اول ما قام به الادريسي فسبق غيره من العلماء هو عمل كرة ارضية من الفضة تبين الممالك المعروفة في ذلك العصر وقد اتم عمله هذا في بالرمو عاصمة صقليا سنة ١٠٥٤م . وكان الملك روجار الثاني قد اعطاه كمية وافرة من الفضة الخالصة لذلك العمل وقد بقي من هذا المعدن النفيس الشيء الكثير فوهبه اياه الملك ورجاه ان يقبله دليلا على تقديره لعلمه.

وفي رواية اخرى ان الادريسي رسم هذه الخريطة على لوح او مائدة فضية وهذا ما قاله الاستاذ (كونراد مللر) الالماني . وفي سنة ١١٦٠م. هاجم الثوار القصر الملكي في بالرمو وكسروا هذه المائدة الفضية واقتسموها فيما بينهم . وذكر الاستاذ مللر ان وزن تلك الخريطة قارب ٤٠٠ درهم من الفضة.

(٢) الّف كتابه المشهور الذي بقي الى يومنا هذا واسمه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » انتهى منه سنة ١١٥٤م . وقد سماه العرب كتاب روجار وذلك تخليداً لذكر الملك الفاضل. ونشر في هذا الكتاب احدى وسبعين خريطة وقد ترجمه الى الفرنسية العالم الفرنسي جوبير سنة ١٨٤٠م. وقد قسم الادريسي الارض في كتابه هذا الى سبع مناطق مناخية مبتدئاً من المنطقة الحارة جنوباً الى ان ينتهي الى اول المنطقة الباردة شمالا وكل قسم من هذه الاقسام قسمه الى

عشرة اقسام بادئاً مناطقه السبع من الشاطئ الافريقي الغربي ومنتهياً في الشاطئ الآسيوي الشرقي .

وقد ابتدأ في كتابه بوصف القسم الاول من الاقليم الاول وهو الصحراء الكبرى وقسم صغير من السودان ثم تدرج في الوصف الى القسم الثاني ثم الثالث شرقاً الى ان انتهى في وصفه الى بحر الصين شرقاً . وقد عثرت على نبذة من مقدمة ذلك الكتاب من مقال العلامة احمد زكي باشا وها كما قال الادريسي في المقدمة :

« افضل ما عني به الناظر واستعمل فيه الافكار والخواطر ما سبق اليه الملك المعظم روجار المعتز بالله المقتدر بقدرته ملك صقلية وايطاليا وانكبروة Lombardia وقلورية Calabria معز امام رومية الناصر للملة النصرانية ... افتتح البلاد شرقاً وغرباً واذل رقاب الجبابرة من اهل ملتـه بعداً وقرباً بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد واساطيل متكاثفة متناصرة المدد صدق فيها الخبر الخبر ..... واستمر الادريسي في هذا الوصف الى ان قال :—

« لما اتسعت اعمال مملكته ... احب ان يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقيناً وخبرة ويعلم حدودها ومسالكها براً وبحراً . وعندما لم يجد في الكتب القديمة ما يسد فيه حاجته ، أحضر لديه العارفين بهذا الشأن وبعث الى سائر بلاده فاحضر العارفين بها المتجولين فيها .» انتهى

وقد وصف الادريسي في كتابه هذا الكرة الارضية الفضية التي صنعها الملك وصفاً دقيقاً جداً ولما جاء لذكر جزيرة صقليا بالغ في وصفهـا

وجمالها و بدائع طرقها ومسالكها ثم تخلص الى مدح الملك روجار الاول ثم مدح ابنه روجار الثاني وهاك نبذة من وصفه لها :

قال « فاما صقليا المقدم ذكرها فاقدارها خطيرة واعمالها كبيرة و بلادها كثيرة ومحاسنها جمة ومناقبها ضخمة . فان نحن حاولنا احصاء فضائلها عدداً وذكرنا احوالها بلداً بلداً عز في ذلك المطلب وضاق فيه المسلك لكنا نورد منها جملا نقول بها ونحصل على الغرض المقصود منها ان شاء الله تعالى ». انتهى

وقال الاستاذ ميللر انه رأى نسخة من هذا الكتاب مطبوعة في روما سنة ١٥٩٢م مكتوب على هامشها انه اول كتاب طبع باللغة العربية .

(٣) كتاب الممالك والمسالك الفه سنة ١١٦١م لنجل روجار الثاني المسمى فلهلم الذي حكم من سنة ١١٥٤ م الى سنة ١١٦٦ م.

(٤) كتاب روض الفرج وهو كتيب صغير جغرافي موجود في احدى المكاتب الخاصة باستانبول.

(٥) كتاب صغير يبحث عن وسائل العلاج البسيطة .

ومما لا شك فيه اننا في حاجة ماسة الى نشر مثل هذا الكتاب القيم (نزهة المشتاق) الذي يعد من اعظم مصنفات العصور الوسطى في علم الجغرافيا ولان صاحبه كما قال جو بير الفرنسي عندما ترجم كتابه « ان هذا الكتاب قد زاد في المعلومات الجغرافية و بخاصة عن افريقيا وان صاحبه الادريسي هو اقدر من كتب في الجغرافيا في القرن الثاني عشر ميلادي » وقد اخذ عن هذا الكتاب كل كتاب العرب الذين الفوا عن بلاد الغرب وكان المصدر الوحيد الذي يرجع اليه مصنفو العرب في علم الجغرافيا .

وقد ترجمت عدة اقسام من كتاب الادريسي الى اللغات المختلفة فترجم الفرنسيون القسم الذي يبحث عن فرنسا ، والى الاسبانية القسم الذي يصف فيه اسبانيا وغيرها من اللغات .

واذا اردت ايها القارئ ان ترجع الى ترجمات كتاب الادريسي الى اللغات الافرنجية فارجع الى كتاب معجم المطبوعات العربية والمصرية صفحة ٤١٥ والى دائرة المعارف الاسلامية .

واما المخطوطات المحفوظة من مؤلفات الادريسي والموجودة لدينا الآن فهي:

(١) مخطوطتان في باريس.

(٢) مخطوطتان في اكسفورد.

(٣) مخطوطة واحدة في ايا صوفيا في استانبول.

الاستاذ كونراد ميللر وخريطة الادريسي :—

وقد عني الاستاذ ميللر الالماني المستشرق عناية خاصة بخريطة الادريسي فقام بالبحوث الطويلة عنها وعن كتابه (نزهة المشتاق) الى ان توفق الى طبعها سنة ١٩٢٨ طبعة ملونة لاول مرة فدل على البلدان بدوائر والانهار بلون اخضر والجبال بالوان مختلفة والبحار باللون الازرق المموج وقد كتب الاسماء باللغة اللاتينية مميزاً الاقاليم السبعة بخطوط رفيعة حمراء وجعل طولها مترين وعرضها متراً واحداً . اما الخريطة القديمة فاكبر حجما من هذه اذ تكون بطول ثلاثة امتار ونصف وعرض متر ونصف متر . ووضع الادريسي خريطته وبناها على نظريته القائلة بكروية الارض وهو الرأي الغير السائد في ذلك العصر . وهي تشتمل على ثلاث قارات .

(١) افريقيا الشمالية .

(٢) قسم عظيم من اوربا .

(٣) اسيا الوسطى والشرقية .

وقد قسم الادريسي كما اسلفنا المعمورة الى اقاليم سبعة متساوية من الجنوب الى الشمال عدا القسم الاول الذي يبتدئ من خط الاستواء وينتهي الى خط ٢٣° شمالا اما ما بقي من الاقسام الستة فقسم كل منها الى ٦ درجات والقسم السابع اي الاخير ينتهي في عرض ٥٩° وقد زاد الادريسي اقليما اخر هو السابع وهو الجزء البارد المتجمد الذي ينتهي بخط عرض ٢٣° شمالا .

وقد قسم الادريسي كل اقليم من هذه الاقاليم الى عشرة اقسام متساوية من جهة الغرب الى الشرق فالاقليم الاول يبتدئ من القسم الاول غرباً الى العاشر شرقا والثاني من الحادي عشر الى العشرين وهكذا الى الاقليم السابع الذي يبتدئ بالحادي والستين وينتهي بالسبعين .

اما البحار المرسومة في تلك الخريطة فهي :

(١) البحر الشامي او بحر الروم وهو البحر الابيض المتوسط .

(٢) خليج البندقية ، اي بحر الادرياتيك .

(٣) خليج بنطس (البحر الاسود) وهذا يتفرع من بحر الروم .

(٤) البحر القزويني او بحر الخزر وهو داخلي منفصل عن المحيط .

(٥) بحر الهند ويحتوي على (٣٠٠)جزيرة يستمد ماءه من بحر الظلمات .

(٦) البحر الفارسي .

(٧) بحر السويس او بحر القلزم (البحر الاحمر) وكل من هذين البحرين

يتفرع من بحر الهند .

ومع ان الادريسي كان مطلعاً على خريطة بطليموس العالمية الا انه ابان في خريطته ان النيل ينبع من عدة بحيرات وقد زاد في الخريطة بانه وضع نهر جديداً اسماه نيل السودان ينبع من بحيرة متوسطة في النيل المصري ثم يجري غرباً الى ان يصب في المحيط الاطلسي و بعبارة اخرى اوجد نهراً جديداً مكوناً من نهري النيجر والسنغال .

هذا ما استطعت ان اجمعه عن حياة ذلك العالم الجغرافي الذي انار الطريق العلمي لمن خلفه من المؤلفين الجغرافيين العرب وغيرهم . وهذا هو وصف مجمل عام عن مؤلفاته وخاصة خريطته المشهورة التي يرجع الفضل في نشرها للعالم البرفسور كونراد ميلر ومن اراد من القراء ان يستزيد عن حياة الشريف الادريسي ومؤلفاته فليرجع الى هذه المصادر السهلة المتناول :

١ — دائره المعارف الاسلامية .
٢ — The Legacy of Islam
٣ — Encyclopaedia Britannica
٤ — الاعلام للزركلي
٥ — Palestine Under the Moslems— Le Strange
٦ — Geographical Discovery & Exploration—Baker
٧ — الرسالة — السنة الثانية

الكلية العربية — فخري جوهريه

معنى المدنية

كثيراً ما نقول ان هذه الامة متمدنة وتلك همجية وهذا الفرد مدني وذاك متوحش او متأخر او هذا مثقف مهذب وذاك جاهل خشن الطباع

ان هذا اللقب الذي نتداوله بسخاء ونلقيه جزافاً يصعب علينا ان نحدده تحديداً جامعاً مانعاً . فالآراء في تعريف المدنية وحدودها جد مختلفة والمذاهب مشتتة ولا ندري باي ناخذ وباي وجهة نسلم . ومن هذه الصعوبة نشأت الفوضى في الصاق المدنية بشعب دون آخر وبفرد دون آخر . ومن المؤكد ان اللون ليس عاملا في المدنية فهي ليست مقصورة على الشعوب البيضاء او السوداء او الصفراء بل هي مشاع بين الجميع وليس الجنس عاملا كبيراً في هذه المدنية كذلك فقد نمت هذه الحضارة وترعرعت في شعوب سامية وآرية وفي مناطق حارة ومعتدلة وباردة وقد يكون للون والجنس والمناخ اثر في تنويع المدنية وتمييزها ولكن ليس لهذه الامور دخل في حرمان امة من الامم ان تدخل حضيرة المدنية

ولعل اهون وسيلة لتحديد مدلول المدنية ان نستمع الى فهم الناس لها ونصغي الى المعنى الذي يلصقونه بالمدنية فتعمد الى عامة الناس في الشارع والمتجر والمكتب والحقل نحدثهم عن حقيقة هذه المدنية وعلى اي وجه يفهمونها كما كان سقراط يجوب شوارع اثينا يناقش الناس اراءهم في الدين والادب والاجتماع ولقد هال سقراط عجز الناس عن فهم هذه الامور كما ادهشه اختلافهم في مدلولاتها وقد آلمه حقاً ان يقصر حتى الشعراء انفسهم عن تفسير هذه الاقوال التي يتغنون بها ويتفننون في ضروبها واساليبها . . ولعلنا نبلى باشد مما بلي به سقراط من اختلاف

آراء الناس في معنى المدنية وعجزهم عن التعبير عن حقيقتها في انفسهم تعبيراً صحيحاً. ولكن ذلك لن يحول دون التحدث الى الناس في هذا الامر فان هذا التحدث يحمل ولا شك بين ثناياه شيئاً من معاني هذه المدنية كما يحوى التراب المعدن

هذا صبي او شاب قروي زار المدينة لأول مرة وشاهد معالم الحضارة فيها فلنستمع اليه يتحدث عى اثر ذلك في نفسه الى رفاقه من صبية القرية : انه لا غرو يحدثهم عن هذه المباني الشاهقة والاسواق العامرة والشوارع المتسعة والانوار المتلألئة التي لا اثر لها في القرية ثم عن هذه الحركة الدائمة والسرعة والجلبة التي يقابلها سكون القرية العميق . ثم عن هذه المصانع الكبيرة الضخمة وهذه الآلات العجيبة الغريبة التي لا شك تثير دهشة الصبي وتملأ مخيلته وتأخذ عليه مجامع فكره — فهذه السياة التي شعر صاحبنا عند الانطلاق بها في الطريق الواسع بعاطفة من الاعجاب والرهبة لهذه القوة السحرية العجيبة ثم هذه الدار الفسيحة التي يؤمها الناس افواجاً فيشاهدون فيها العجائب حيث تطفأ الانوار فاذا ارض غير الارض واذا اناس على صور مختلفة يجيئون ويمضون ويتحدثون ويدخنون واذا مدن عامرة وحدائق غناء وحيوانات مفترسة وسفن وطائرات وثلج وانهار . حتى الدود والهوام كل ذلك يمر امام عينيه وهو كالحالم يحتار في ما يرى ويدهش لما يسمع فاذا اضيئت الانوار فكل ذلك قد مضى وليس امامه الا شاشة بيضاء ناصعة لم تؤثر فيها هذه الحرائق التي رآها تندلع او هذه العواصف التي شاهدها تعسف البحر وتدك الرواسي! باي لغة ينقل خبرها وباي لسان يعبر عن عجائبها .. اما عن هذه الآلات التي تملأ مقاهي المدينة وبيوتها باصوات منبعثة من ارجاء العالم فان وصفها يوقع صاحبنا في ورطة واي ورطة وقد لا يجد في قاموسه الضيق

غير كلمة ملائكة او جن ليطلقها على هذه الآلة المدهشة .

ولقد حدث ان كنت ادير فونوغرافاً على مسمع من عجوز راهبة مسكوبية فاشمأزت من سماعه وقالت انه شيطان رجيم يتكلم من باطن هذه الآلة! ثم اردفت ملاحظتها هذه بقولها ان البلاشفه في موسكو يحشرون جميع شياطين العالم ويبثونها في جميع ارجاء العالم كما يريدون وقد سمعت شيطاناً من هذه الشياطين البلشفكية اقدر من هذا الشيطان واشد هولا فهو يتكلم كما يريد هو لا كما نريد نحن ويتكلم من بلدان مختلفة فمرة من لندن ومرة من باريس ومرة من برلين ومرة من روما دون ان نحتاج الى ادارة آلته او تغيير اسطوانته . . واعقبت ذلك بخلجة صدر عميقة لتدل بها على يأسها من حياة يتصرف بها اعوان الشياطين ! ولعل هذه الراهبة قد بلغ منها اليأس مبلغاً عندما علمت ان هذه الشياطين قد لحقت بها الى الارض المقدسة !

ولا ريب ان صاحبنا يتحدث في ما يتحدث عنه من غرائب ما شاهد عن هذه الاطعمة الشهية والحلوى اللذيذة والفاكهة المتنوعة التي يتمتع بها السكان المتمدنون . . ثم هذا الماء المثلوج في شدة الحر وهذه الوسائل الكثيرة المتعددة لترفيه حياة الانسان والمبالغة في امتاعه وتلذذه !

هذا القروي يتحدث عن المدينة كخارج عنها وفي حديثه فائدة لنا عن درسنا لهذه المدينة . ولنتركه يمضي في حديثه الذي لا يخرج عن الطرف الذي سمعنا ولنمض الى المدينة نفسها فنحدث اهل المدينة عن حالهم ونتعرف الى شعورهم عن هذه المدينة التي بها يمتازون ويفاخرون وبها يسعدون ويشقون ولها يعملون !

لنجلس الى رجل عادي من سكان المدينة نلتقي به في مقهى او متجر او نادي ونستدرجه للتحدث عن هذه الحقيقة الغامضة التي جئنا نميط عنها اللثام . ندرك من اقوال هذا دون مشقة او اعنات ان الانسان المتمدن كما يفهمه هو ذلك الرجل او المرأة الذي يتأنق في لباسه وينعم في عيشه ويشارك الخاصة من اهل الترف واليسار وذوي النفوذ والسلطان واصحاب الحسب والنسب في حياتهم الخاصة فيأكل ما يأكلون وعلى الاسلوب الذي يتناولون به طعامهم ويتكلم فيما يتكلمون وباللغة والعبارة التي يؤثرون ويخوض في الابحاث التي يخوضون ويجلس في الأندية ودور اللهو التي اليها يترددون ويقرأ الصحف والكتب التي يتداولون وهو في حركاته وسكناته وعمله وراحته لا يخالف معروفاً ولا يخرج عن مألوف . . فالمدني كما يفهمه هذا الشخص العادي هو شخص عادي مثله مقيد بقيود من عادات وتقاليد واصطلاحات لا يحيد عنها قيد شعرة وكلما تبسط في وسائل هذه الحياة المترفة وتفوق في تقليد عادات المجتمع الراقي المتعارف عليها زاد رسوخاً في المدنية !

ولنترك هذا الشخص العادي يفكر ويؤمل في الحصول على هـــذه المدنية التي يتخيلها ونمضي الى رجل من الخاصة اي الى فرد ذي ميزة ثقافية او اجتماعية او سياسية ونحدثه في هذا الموضوع العويص وكل من هؤلاء طويل الباع في التحدث والاسهاب عن موضوع بحثنا . . فما علينا الا ان نعمد الى محامي او طبيب او صحفي او استاذ او زعيم سياسي او مصلح اجتماعي او رجل ذي مركز اقتصادي فنتحدث الى هؤلاء في هذا البحث لتقف على فهمهم

لمعنى المدنية فنجد ان لكل من هؤلاء نظرة في هذه المدنية تختلف عن نظرة الاخر وتختلف عن فهم الشخصين الاولين لهذه المدنية . ويتفق هؤلاء الخاصة فيما بينهم على ان ما سمعناه من معاني المدنية قشور وان اللباب اعمق من ذلك بكثير ولكنهم قد يختلفون في لب هذه الحضارة وروحها ومصدر الحياة فيها :—

فالاقتصادي يرى في كثرة الانتاج وحسن التصريف وسهولة المواصلات وتنظيم اسواق الاستهلاك واحكام نظام التبادل والتعاون والشركات والنقد وغير ذلك سداة الحضارة ولحمتها . والاديب او الصحفي او الاستاذ على اختلاف طفيف فيما بينهم يطيلون الحديث في الادب الرفيع والفن الجميل والتربية الصادقة والوطنية العميقة الفعالة والمبادئ القويمة وما اليها .. اما المحامي او المصلح فيعلق اهمية كبرى على النظم الاجتماعية والاوضاع السياسية والقانونية والحقوق المدنية ورفاهية العمال وحرية الرأي والرإي العام ويؤكد لنا ان ذلك هو طابع الحضارة . . ورجل الدين يرى في تغلب الفضيلة وانتشار الحق وسلامة الخلق اساس الحضارة والرقي الروحي والمادي . . اما المرأة ومركزها من الحضارة لا يستهان به فلا شك انها تعلق على سلامة الذوق وسمو العاطفة ورقة الشمائل وتتبع الموضة واجادة احاديث الصالونات والاقبال على الفن والجمال نتعشقه ونعبده ونصوره ونمتدحه ونلبس حياتنا لباسه .. اجل ترى المرأة في كل هذا معنى للمدنية الحقة وصورة صحيحة لها . .

هذه المعاني الكثيرة التي سمعنا اليها نستطيع ان نجملها في مظهرين اساسيين للحضارة : الاولي مادي وهو هذه الثروة المادية المتجلية في قوة تغلبنا على الطبيعة واستخدام قواها لترفيه حياة الانسان وتوفير حاجاته الكمالية منها والضرورية والثاني معنوي وهو روح الحضارة نلمسها في العقيدة الروحية والسمو الخلقي والرقي

الاجتماعي والمجـد العسكري وفي هذا التاريخ الحافـل والوطنيـة الصادقـة . وحضارة اليوم متفوقة كل التفوق في الجانب المادي فتجارتها واسعة وقواها هائلة وموادها زاخرة وعجيبة وفنونها وحيلها تفوق كل حصر . . ولقد طغى الجانب المادي على الحضـارة حتى ليخيـل الينا ان ذلك هو كل ما في الحضـارة : فهي تقاس بما للامة من طائرات وآلات و بوارج ومدرعات وما لتجارتها ولصناعاتها من رواج وكل امة عاطلة من هذه القوى المادية هي همجية بالغة ما بلغت من الرقي الروحي والاجتماعي

ان هذه النظرة للمدنية جد خاطئة فذلك وجه واحد منها وليس هو بالوجه الاهم وفي ضوء هذا الفهم الجامع للمدنية نرى ان كثيراً من الامم التي نخرجها عادة من نطاق المدنية لها في الحضارة اساس مكين وكثير من الامم التي تفاخر بمركزها ترتكز في دعواها على اساس غير متين !

وحاجتنا نحن في هذه الاقطـار العربيـة الى الجانب المادي من الحضارة اما الجانب المعنوي فلدينا منه كنز ثمين في هذه العقيدة السامية وهذا التاريخ الحافل . . وما علينا لاداء رسالتنا في هذه الحياة واعادة مجدنا الغابر الا ان نشد ازر تراثنا القديم بهذا الشيء المستحدث في حضارة الانسان !

محمد عبد السلام البرغوثي



عبد الرحمن الداخل

(١١٣ هـ — ١٧٢ هـ)

بعد أن بلغت الدولة الأموية أوج عظمتها في الشرق ، ما لبثت ان بدأت بالانحطاط حالما اخذ خلفاؤها ينصرفون عن ادارة الملك وسوس الرعية الى النعيم والرفاهية ، منهمكين بنزوات العاطفة الهوجاء ونزعات الشهوة العمياء ، تاركين ادارة الحكم لمن ينوء تحت هذا العبء الثقيل . فازداد ضعفها وافل نجمها واقترب منها الزوال . وبلغ ذلك اشده زمن الخليفة مروان آخر الدولة الأموية في الشرق

في مثل هذه الاحوال المضطربة ظهر ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس فقاد الجيوش التي سماها المسودة متخذاً العلم الاسود شعاراً لها . حارب بني امية فكسرها في كثير من المواقع ثم لما خرج ابو العباس عبد الله السفاح أمير العباسيين واول خلفائهم مزق الامويين شر ممزق ففرق جمعهم وشتت شملهم ولم ينج منهم الا قليل ، وكان ممن نجا من فتك السفاح وقبضته الذريعة الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي سمي بالداخل لانه كان اول من دخل الاندلس من ملوك بني مروان فأسس فيها مملكة تحاكي الدولة الاموية في الشرق .

ولد عبد الرحمن هذا سنة ثلاث عشرة ومائة من الهجرة في دمشق ، ويقال في غيرها وكانت امه راح تنتسب الى قبيلة زنانة البربرية التي كان ينتسب اليها فاتح الاندلس طارق بن زياد . توفي ابوه وهو صغير فكفله جده هشام ورباه في بيت الخلافة .

لما علم عبد الرحمن ما حل ببني امية آن تغيبه بجوار الشام غضب غضبة مفزعة

واستيقظ يقظة مروعة اسرعت به الى النجاة فلاذ واهله بالفرار الى الفرات واذا برايات المسودة تطلبه فقطع النهر وقتل اخاه وهو ينظر اليه نظرة البائس المكلوم، ثم سار مدة في الصحراء شريداً طريداً لا مال له ولا اصدقاء ، ومنها الى برقة حيث نزل على اخواله من برابرة طرابلس فرحبوا به وا كرموا وفادته وبقي عندهم مدة كان اثناءها قد جعل افريقية مطمح آماله بعد ان ايقن ان لن تقوم لبني أمية في المشرق قائمة ، ولكنه بعد ما تجول فيها بضع سنين أدرك ان الاستيلاء عليها أمر مستحيل ايضاً فحول انظاره نحو الاندلس وارسل اليها بدراً مولاه ليسبر غور القبائل ويجمع كلمة انصار بني أمية .

وافق قدومه ما كان بين اليمنية والمضرية في الاندلس من النزاع ، فانحازت اليه اليمنية وقبائل الشام وارسلوا اليه مركباً فيه جماعة من كبرأيهم الذين ابلغوه طاعتهم وعادوا به . فنزل ارض الاندلس عام ١٣٨ هـ. وما كان ينزل على مدينة فيبايعه اهلها حتى ينتقل الى اخرى وهكذا . فلم تمض ايام حتى صارت لديه قوة عظيمة . كان والي الاندلس آن قدومه اليها يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي هزمه عبد الرحمن الداخل بمكان على ضفاف الوادي الكبير يوم الجمعة وهو يوم العيد الاضحى. ثم جيء اليه برأسه فعلقه على باب القصر في قرطبة وبذا تم الظفر للطريد البائس فاصبح أمير مملكة قوية .

اثار هذا الظفر الحقد في قلوب العباسيين فأمر المنصور الخليفة العباسي في الشرق العلاء بن مغيث والي القيروان بفتح الاندلس واخذ البيعة من اهلها فذهب العلاء بجيش نزل به ارض الاندلس رافعاً الرايات السوداء ، وتقدم من البلاد وحاصر عبد الرحمن مدة شهرين . فما كان من عبد الرحمن وجنده الا ان

اشعلوا النيران باب المدينة على مرأى من العباسيين ، والقوا أغمادسيوفهم وتعاهد على الموت كراماً في ساحة الوغى اذا لم يكتب لهم النصر ، فانقضوا على المحاصرين وقتلوا منهم كثيرين ، ثم ارسل رأس العلاء ورؤوس كثيرين من العباسيين ملفوفة في اللواء الاسود الى مكة ، فالقيت في اسواق الحاج . فلما رآها الخليفة المنصور ارتاع لذلك وقال « ما هذا الا شيطان والحمد لله الذي جعل بيننا البحر » ولقبه صقر قريش .

لم تقف همة عبد الرحمن عند هذا الحد بل هزم معاصره امبراطور الدولة الرومانية شارلمان ، الذي لم يكن في استطاعته ان يلبث هادئاً إزاء انتشار الدعوة الاسلامية وامتداد نفوذها في الاندلس . بل عزم على طرد العرب من اسبانيا ، واستئصال شأفة المسلمين فيها تخليصاً لاوروبا من فتوحاتهم وتأييداً لهيبة الكنيسة واحتفاء بكبرياء الفتح والظفر . ففي سنة ١٦١ هـ اتفق الامبراطور شارلمان مع بعض الخونة من العرب والبربر على خطة غايتها نشوب عدة ثورات في اماكن متعددة تؤول الى كسر الشوكة الاسلامية آملين ان ينالوا بالغدر والخداع ما لا تدركه القوة ، ولكن ماذا تفعل مدية اللص في قلب تذرع بالايمان وماذا تفعل سطوة الباطل من حق تسجل في لوح الزمان .

فبعد ان اجتاز جبال البرانس واستولى على بعض المعاقل الاسلامية في الشمال زحف على سرقسطة فحاصرها ولما بلغ عبد الرحمن الخبر قابله بجيوشه مقابلة المستميت في سبيل الدفاع عن ملته وكرامته ، فرده على اعقابه وانتصر عليه نصراً مبيناً في واقعة سميت « الواقعة المؤلمة » لانها اصابت الاعداء في الصميم ، قتل فيها كثيرون من اشهر مشاهير قواد الفرنجة وانهزم الباقون وفي كل عضو من اعضائهم جراحة

من اثر الواقعة وفي كل بيت من بيوتهم مناحة لفقد عزيز من اعزائهم ، فكان هذا اليوم على المسلمين يوم ظفر وعلى الفرنجة اسود الجلباب .

رغم مالاقى عبد الرحمن الداخل من الصعوبات في توحيد الاندلس تحت راية عربية لم ينس نصيبهامن الاصلاح ، بل وجه نظره الى تشييد المعاهد والمستشفيات ووضع اساس الحركة الفكرية فيها . فاصبحت الاندلس كعبة العلم والعرفان ، يؤمها طلاب اوروبا لينهلوا من مناهلها العذبة . أقام جامعاً بقرطبة . و بنى له فيها قصراً سماه الرصافة تشبها برصافة جده هشام على الفرات . حسن الطرقات . اكتفى بلقب الأمير احتراما لكرسي الخلافة الذي كان لا يزال مهد الاسلام ، وجعل الامارة وراثية بعد ان كانت انتخابية . اقام العدل بين الناس «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون »٠

كان فصيحاً لسناً شاعراً عالماً ، سريع النهضة ، لا يكل الامور لغيره ولاينفرد فيها برأيه ، شجاعاً مسرفاً في الشجاعة ، نشيطاً غالياً في النشاط كريم الخلق قوي الايمان . ومما يحكى عنه في ذلك انه لما دخل الاندلس قدم اليه خمر فقال : « اني لاحوج الى ما يزيد عقلي لا لما ينقصه »٠ نقش على خاتمه «بالله يثق عبد الرحمن و به يعتصم »٠ وكفى بالله وكيلا .

توفي بقرطبة ودفن بقصرها سنة ١٧٢ ھ فتولى ادارة الملك بعده ابنه هشام .

واخيراً ، اذا نحن فكرنا في تاريخ حياة هذا الفاتح العربي العظيم نجد انه ذاق اليتم صغيراً ، ثم ألحت عليه حياة فيها ياس وأمل وفيها حرمان وفقر ، فلما وثق بالله قطع الله الاسباب بينه وبين البؤس والشقاء ، واذا هو يلقى عبء الحياة جلداً صبوراً لا يعرف كلالا ولا ملالا . وقد كان رحمه الله نفساً عظيمة خلقها الله كما اراد ،

وخلق لها شخصيتها على احسن مما ارادت فاستنار قلبه بنور الايمان واستمد قوته من قوة القرآن فأقام تلك الحضارة التي ترجوها العروبة ويرضاها الاسلام .

جميل بركات

شبيب بن شيبة

كان من الخطباء الأبيناء العلماء الذين جروا في الخطابة على اعراق قديمة . وهو الذي يقول في صالح بن ابي جعفر المنصور ، وكان المنصور أقام صالحاً فتكلم ، فقال شبيب : — ما رايت كاليوم أبين بياناً ، ولا أجود لسانا ، ولا أربط جناناً ، ولا أبل ريقاً ، ولا أحسن طريقاً من صالح . وحق لمن كان امير المؤمنين اباه ، والمهدي أخاه ، ان يكون كما قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدما حسناً ‌‌ نالا الملوك وبذا هذه السوقا

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما ‌‌ على تكاليفه فمثله لحقا

او يسبقاه على ما كان من مهل ‌‌ فمثل ما قدما من صالح سبقا

قالوا : ان شبيباً ابتدأ بحلاوة ورشاقة وعذوبة ، فلم يزل يزداد منها ، حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره .

(البيان والتبيين)

فهرست